نصوص ضائعة التوقيع

قصص



رزان نعيم المغربي

مجلس الثقافة العام

حسن أبو يوسف اللويشي

نصوصٌ ضائعةُ التوقيـع

مجموعة قصصية

نصوصٌ ضائعةُ التوقيع

مجموعة قصصية

رزان نعيم المغربي

الناشر
مجلس الثقافة العام

اسـم الكـتاب	نصوصٌ ضائعةُ التوقيع - مجموعة قصصية
اسـم المؤلـف	رزان نعيم المغربي
سنـة النـشـر	2006م
رقـم الإيـداع	2006 / 6959م
الترقيم الدولي	ISBN - 9959 - 38 – 084 - X
تصميم الغلاف	علي العباني
التنفيذ الفني	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القاهرة ت 0020123140315

الإهـــــداء

إلى روح أمي التي تعلمت منها سرد الحكايات

إلى طـارق وهـند لأنـني سـرقت مـن وقـتهما لأنجز كتاباتي

إلى تازيـري قـرادة الصـديقة والقارئـة الأولى لكـل أعمـالي، لقسـوتها علـيّ وخوفهـا عـلى نجاحي أهدي كتابي

رزان نعيـم المغـربي

المرأة الثالثة ...

انتصف الليل ...

هذه الليلة الثالثة ..لم يتصل بها ..ولم يأت، لم تعد تسمع صوته الحبيب، وهاتفه المحمول لا يرد إلا بنغمة آلية تقول إن الهاتف مقفل؟؟

جربت الاتصال بهاتفه الخاص في المنزل ،تعلم أنه يتضايق، لكن لابد أن يقدر شعورها واشتياقها إليه ..أليست حبيبته المدللة كما يقول دائما... ؟

عبثت بأرقام الهاتف وطلبته سمعت صوت امرأة ترد على الطرف الثاني كان صوتها يحمل نبرة حزن أقرب إلى النشيج:

- نعم ..

وسألتها بسرعة من أنت؟

- أنا ..أنا زوجته بل من تكونين ؟

كانت منفعلة ومتسرعة وهي تجيب بجرأة عجيبة:

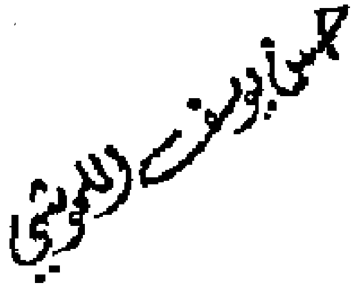
- أنا ..أنا حبيبته ..

وللوهلة توقعت سماع صراخ أو شتيمة، (كانت مصرة على التحدث إليه وليحدث الطوفان الذي تنتظر..؟)

لكنها فوجئت بصوت ضحكة مريرة وهي تقول بشماتة بالغة:

- إذا كنت حبيبته ..فمن هي المرأة الأخرى التي رافقته لقضاء الإجازة فوق جبال الألب..؟؟؟؟

2001/2/20



حقيقة !!

كـل زمـيلاتها في العمـل،لم يخفـوا شـعورهن بالحسـد مـنها، العازبـات والمتزوجات، وهن يسألن: من هو العاشق الذي لا يكف عن إرسال وردة حمراء كل صباح إلى مكتبها؟

إحداهن حاولت تقصي الحقيقة، فأصيبت بالفشل، أما هي فبقيت غامضة لا تبوح بسرها لأحد.

قالت صديقة مقربة منها:إنه يحبها كثيراً،وستتزوج عما قريب!

لكن الأكبر سناً والمتزوجة منذ عشرين عاما أجابتها: وقتها سيكف عن إرسال الورود!

بعد سنتين، فاجأت الجميع بانتقالها إلى عمل آخر،في شركة تدفع راتباً أكبر، وكان لزاماً عليها الذهاب إلى محل الأزهار لتعطيه عنوان العمل الجديد.؟؟

1997/7/12

ظنون وراء الأشجار

وهذا صباح، ينبلج من قلب عتمة ليل مضن بالأرق والتردد يمزق ذاكرتي، بصور عنه وعنها، هل أعيد الاتصال به أم لا ؟

بعدما سمعت ذاك الصوت الأنثوي يرد على الهاتف! بدل أن أسمع صوت زوجي؟ أدركت كم كنت قوية، متمالكة لأعصابي، حين أخذ من يدها سماعة الهاتف، وصلني صوته ضاحكا،متجاهلا خيبة تجلت في نبرات صوتي قال:

- أهلا اشتقت لكم، سوف أنهي ما تبقى قريبا، وأعود لبيتنا!

- أتمنى ذلك"" وتابعت أطلب منه "" ، هلا طلبت من ضيوفك عدم الرد على الهاتف مرة ثانية؟

- حاضر،

"قالها وهو يضحك وكأن ما حدث أمر عادي"

حينما أغلقت الهاتف أحسست بالحريق يكويني! هكذا أنا على الدوام، حرائقي لا تصعد إلى السطح! بعد ذلك قضيت يومين لم

أحاول الاتصال به، ولم أعرف طعم النوم والراحة، تتنازعي الشكوك والأوهام والأفكار الخبيثة! ولكن، هذا الصباح سمعت روحي تناجي خلايا جسدي المنهك، للدخول في متن نهار آخر، كنت أحتاج أن أصغي لكلام الروح جيدا، وكان المشي يساعدني على تحليل الموقف أكثر، ارتديت ملابس الخروج ، وفي قفزتين أصبحت وراء الباب، أغلقته وتركت أولادي غارقين في أحلامهم. كنت محتاجة إلى الوحدة، والسير نحو الحديقة،وأسير، حيث ينفصل جسدي عني. قدماي تطآن الأرض على أثر أقدام البارحة! لكن للذاكرة فضاء آخر، تحلق وتطير إليه، هناك، حيث هو، في بلد بعيد ولا أعرف ماذا يفعل؟ يرتاح؟ يحب غيري؟ أم تراه مهموماً لكثرة المصاريف الإضافية المفاجئة له. لا، صوته يشي بأنه سعيد! ثم أفكر بحل للمأزق النفسي؟ الشك.

(الشك لعنة تتأرجح فيها الذاكرة بين لا، ممكنة الحدوث،ونعم اليقين الذي بدا مستحيلا، وفجأة، تتشتت الفكرة ،تبعثرت إلى أجزاء وذرات صغيرة، حملت في ثناياها حقائق ربما وهمية، واستنتاجات لعلها غير منطقية؟ لكن كل هذا لا يبقى كما كان، جزء يتلاشى بهزة خاطر، وبعد خطوة خطوتين يذوي جزء آخر، فكرة ثانية تذوب مندمجة في ما يليها، وربما هناك فكرة طارت مبتعدة وراء آفاق مستحيلة الحدوث! سور الحديقة لاح من بعيد وما جنيت إلا أفكاراً مرتبكة، تدعوني من جديد إلى مزيد من التفكير، فتلك التي راحت، ربما أخذت معها ما يحمل للقلب اطمئنانه، وتركت في المقابل أفكارا

تشكل حولي بحرا من الرمال المتحركة تكفي لأغوص فيها، أغوص ولا أصل إلا لعذاب الحيرة والسؤال؟ والشك لا شيء آخر، الشك يتعب الذاكرة والقلب ولا شئ أصعب منه؟)

هاهي بوابة الحديقة ذات القضبان الحديدية السوداء الضخمة تفتح ذراعيها لزائريها في الصباح، يطالعني وجهه العجوز الحبور، وهو جالس إلى مقعده، ومثل عادته يحمل كيساً من الحلوى يقدمها لبعض الأطفال، وينتابني إحساس بالغيرة منه :كم هو سعيد؟ لا هم له يشبه همي! أجتازه،أبحث عن مكاني بين المقاعد التي تناثرت في الممر خلف أشجار السرو، كثيرا ما طاب لي الجلوس على مقعد أحبه في الممر؛ هذا الصباح وجدته مشغولا احتله رجل وامرأة عجوزان، "لا أجد تبريرا لإصراري وتفضيلي الجلوس، في مكان ما، إذا ما وجدته فارغا، وإذا لم يتسنَّ لي ذلك ووجدت أن هناك من سبقني إليه أجلس على غيره مع إحساسي بافتقاد شيء أصبح ملكيتي، حتى ذلك الرجل العجوز لو لم أجده أشعر بأنني افتقده، أفهم تعلق الإنسان بالمكان بأنه ارتباط عاطفي لأننا نتعود النظر من حولنا للأشياء بحميمة، بغية الحفاظ على ذاكرة المكان الأثير. الذي يصبح جزءاً منا، لماذا نصر على أن نفسح مجالاً في الذاكرة للأشخاص الذين يصبحون جزءاً من هذا المكان؟ مع علمنا أننا قد نفتقدهم في أية لحظة ، وهذا ما يؤرقني دائماً ".

سرت خلف الممر والأشجار المحيطة به، حيث المقاعد تنفتح

على ساحة رملية تتراص فوقها ألعاب الأطفال،رأيت سيدة شابة جميلة تراقب طفلتين تلعبان ثم، تأتي إحداهما إليها تهمس في أذنها وتدور حول الأشجار، تمشي في الممر وتقف عند العجوز تأخذ نصيبها من الحلوى!شعرت للوهلة، أن المرأة تحب وحدتها، لهدوء تبغيه بعيدا عن ثرثرة نسائية مملة، وحين استأذنتها بالجلوس؛ شعرت بترددها في إفساح مكان لي! ثم حسمت أمرها، فأفسحت لي مكانين، واحدا على المقعد والآخر في حياتها، وكأنها كانت بانتظاري منذ أمد بعيد.

- هل تسمحي لي بالجلوس؟

- طبعا تفضلي.

- شكرا.

واستطردت قائلة:

- مع أنني أشعر.

- وكأنك تتلذذين بالجلوس وحيدة .

- الحقيقة لا، ولكن زوجي أصبح متقدما في السن!

"كانت تشير بإصبعها إلى مكان تواجده وكأنه يجلس خلفنا تماما، غير أنني لا أرى ورائي إلا أغصان الأشجار.."

- أين هو؟ تقصدين هنا في الحديقة موجود ؟

- إنـه وراء الأشـجار يجلـس عـلى مقعـد في مدخـل الحديقـة ، خلفنـا تمامـا يستطيع أن يـرانـا مـن خـلال الأغصـان! " واسترسلت ": إنه يفضل ألا أتحدث مع أحد، حتى النساء!

قالـتها وهـي تـلمح في عـيوني الدهشـة! أعـرف زوجهـا تمامـا، الـرجل العـجـوز، والـذي كـثيرا مـا تجاذبـت وإيـاه أطـراف الحديـث، لم يخطر لي أنـه يمتلك هذه القسوة ، بل كثيرا مـا أثنيت على لطفه وهو يقدم الحلوى للأطفـال، ولكنه لم يتحدث عن زوجته التـي تجلس على مقعد يقابله خلف أغصان الأشجار!

تـرى هل كـان يخجل ممـا سأظنه؟ وهـو يحـاول مراقبـتها بـدل الجلـوس إلى جـانـبها أم يخجـل مـن سمـاع كـلمة بابـا لـو نـادتـه إحـدى الطفلتين فجـأة؟ وهـو بعمر الجـد وليس الأب! لمـاذا يختبئ وراء سـتـار مـن الوهـم؟ ودفعـنـي الفضـول لاستـفزازا المسكوت عـنه، وقـد لمحـت في عينـيها الجميلتين بقـايـا نـدم عـالق بأهدابهمـا، على شـيء فـات ولـن يعـود! وأدركـت أنهـا بعزلـتها تلك تخـدع زوجهـا بعطالـة تفكيرهـا، عمـا يشغل بالـه مـن وسـاوس وغيرة، تجلـب لقلبـه التعـاسـة والشك، بل إنهـا ربمـا استمرأت الأمـر، وأوحـت لـه بعطالـة تطـال حواسـها ومشاعرهـا، حتى تلامس حد اليقين

- أنت جملية جدا وصغيرة ، أقصد أن هنـاك فرقـا كبير بينكمـا.؟

- أجل، أنـا في الثـامنة والثـلاثين؛ وهو تجـاوز السبعين بسنوات!

أعلم أنك مندهشة ولكن لي طلب عندك .. حاولي أن تتحدثي معي وتنظري إلى الأمام وكأنك تتكلمين مع نفسك ..لا أريده أن يشعر... وإلا فإنه سيقطع جلستنا!

- معقول! هل يغار عليك لو تحدثت مع امرأة أيضا؟

- إنه لا يغار، يخاف، يخاف علي، مع أنني تزوجته دون إكراه أو ضغط من أحد .نشأت في بيت متوسط الدخل وسط خمس بنات شقيقات، وكان لكل واحدة منا حلمها، تتطلع خلاله إلى الخروج من نطاق البيئة الوسط، وأنا بدوري حلمت بشاب غني ومثقف ..لكنه لم يأت! فقط كل عام يأتي عيد ميلاد جديد يضيف سنة لعمري.

شعرت بالخوف، وقررت الزواج بطريقة تقليدية خصوصا أن العريس - زوجي - كان تاجرا يملك الكثير من الأموال والعقارات. وأنا الآن مخلصة لزوجي وراضية، هذه هي الحقيقة لكنه لا يدركها يقتلها بشكوكه وأوهامه! ولا يهنأ بيقينها، يضيق حولي الدائرة، بقصد حمايتي ،يمنعني من الاتصال وزيارة شقيقاتي المتزوجات، سمح لي بزيارة والدتي مرة واحدة في الأسبوع لمدة ساعة وبرفقته ..

- لا أفهم، ماذا يقصد لماذا يخشى شقيقاتك مثلا؟

- لا يريد لي الاطلاع على مجرى حياتهم (انخفضت نبرة صوتها وهي تتابع حديثها) ربما بعد أن تحسس ضعفه، ازداد

الحصار حولي صنع لي شبكة على مقاسي أتنقل أتنفس فيها وأحكم إغلاقها عليّ بحبل أمسكه بيده، يطول ويقصر حسب ما يراه مناسبا ومريحا ، والآن ترينه يجلس خلفي، لا تفصله عني إلا أمتاراً قليلة وظل الأشجار، جالس على ذلك المقعد، الذي يشبهه! والتي حالت ألوانه بحكم الزمن، يراقب صمتي ويسعده! أستطيع تقدير حصاره وخوفه من محادثة الغرباء من الرجال خوف الفتنة. أما النساء! ربما يخشى التحريض النفسي فيما لو قارنت بيني وبينهم!

- هل ندمت ؟ يعني لو تزوجت من أحدهم ربما سارت حياتك أفضل؟

- لا أنا راضية، أنا فضلت حياة الهدوء بعد صخب الشباب لكنه لا يصدق، لا يصدقني!

وصمتت كأنها لا تريد الاستمرار.

"وأنا ماذا لدي من دليل على خيانة زوجي، كيف يفكر بي الآن لو علم؟ وزوجها هل يثق بها أم يخاف عليها؟ لأنها تصغره بثلاثين عاما؟

ونهضت، بعد أن عاد القلق يلح عليّ، لكن يدها تعلقت بيدي؛ لحظتها شعرت بلمسة يدها، تحمل لي تيارا قويا من التوسل، تحتاج فيه لتسريب ألمها بينما في نفس اللحظة أرسلت نبضات يدي تيارا معاكسا توسلت فيه حب الأمان والطمأنينة من عذاب الشك، كنت أحتاج إلى مزيد من اليقين، ومن الحنان، وكان من الممكن أن نكون صديقتين وبسرعة لولا حذر الزوج العجوز.

هل انظر بدوري إلى الجانب المظلم من المشكلة مثله؟ وهززت هذا الخاطر بسرعة؛ فالأمر أعقد من ذلك بكثير. ماذا أريد ؟ سؤال قفز من لجة السؤال! أنا أبحث عن السلام، أريد أن أتصالح مع نفسي، بعد أن أتعبتها الظنون، الشك الذي بعث الحريق إلى أطراف أصابعي، وما كاد يبقي حتى الرماد، إنه مبعث على الجنون وأنا لا أستحقه، لأنني أحب زوجي، وأثق به،ولكن هل حبي له يكفي لعدم حصول الخيانة؟ كنت كل ما ابتغيه من مشواري إلى الحديقة الراحة،بعد عناء التفكير والقلق، فوقعت في فخ الظنون، الظنون التي أتعبت الرجل العجوز وزوجته الشابة المستسلمة لخيارها، فقد جعل مخاوفه تطفو على سطح الكلام فنبتت شوكا على الشفاه! شوكا يؤلمها كل ثانية في عزلتها، وهو هادئ يراقبها خلف الأشجار، منفردا بظنونه ومنفردة في استسلامها وشقائها! أما ظنوني فقد بت أخشى تحريك سكونها والتحدث للغرباء عنها، لتبقى حبيسة ذاكرتي، حيث الحريق داخلي ملتهبا وأنا أكابد إطفاءه على السطح!هاهي تزيد من مؤامرة الشوق كلما هزني الحنين إليه، في الداخل حيث لا يبقى أثر للغبن، أضعف وأشتاق لسماع صوته من جديد، وكأن الأماكن تتآمر علينا في وقت الشدة أم أنها تكون الدليل القوي على كثرة تحملها لوجع الآخرين؟ أم أنه الزمن الذي لم يعد فيه مكان لمداواة الجراح إلا بمشاهدة جراح من حولنا ؟

شعرت بخطواتـي تصبح أكثر رشاقة وأنـا أغدو نحـو البيـت، الصباح اعتقلني بتفاصيل مبهمة غامضة، وإذ بدت الشمس ترسل أشعتها الحارة، لسعتني بأسئلة أكثر غموضا، رافقتني وأنا اقتفي أثر الحلول من تلك الأفكار التي تناسلت وأنا في طريقي صباحا! ودخلت في دوامة جديدة والسؤال الكبير يطرح نفسه: ماذا لو كانت المرأة مجرد خادمة في الفندق وكانت تمسح الغبار عن الهاتف فطلب زوجي منها الرد عليه، ترى هل يكفي هذا الظن ليهدأ قلقي ؟ والعجوز ما الذي يهدئ من شكوكه؟ وهو كل مساء ينوء بحمل ظنونه المستحيلة، بعد أن شر شت في أرض الحديقة نابتة خلف الأشجار؟ كم تمنيت وأنا أستعجل الذهاب من الحديقة ويدها تستبطئني للمكوث،أن أسمعها في فسحة من زمن نعلم مسبقا أنه لن يتكرر. حين مضيت فكرت، كم أحتاجها..هذه هي الحياة : كلما طوينا صفحة شخص من عمرنا ندرك كم كان ثمينا ذاك الوقت الضائع حيث كان يمضي متدثرا رداء الحب والإخلاص، وأن الوفاء لو ذهب لن يعود، لكنها الحياة أيضا تهدينا الأمل، ونحن نفتح صفحة أخرى لشخص جديد، صديق جديد بأن يكون الوقت معه مثمرا أكثر؟!

1998/9/3

موعد في منتصف المسافة

حينما ارتدت ثوبها الربيعي، وأكملت زينتها، تأملت إشراقتها في المرآة، اطمأنت لحسن ذوقها واختيارها لملابسها، وتأكدت أنها ستبهره حتماً.

أغلقت الباب، أخذت نفسا عميقا، نظرت إلى السماء المشرقة بشمس الربيع المبكر، وتابعت سيرها غير عابئة ببعض الغيوم الداكنة، وتمنت أن تقطع المسافة إلى المقهى،الذي ينتظرها فيه قبل أن يفاجئها المطر. وفي منتصف المسافة، تناثرت قطرات الماء،على شعرها المصفف وثوبها الأنيق، اجتاحها حزن عميق، على الفور فلو أنها عادت ستتأخر حتماً، ولو أكملت سيبدو منظرها أقل حسناً مما تريد وتشتهي؟

سارت خطوة..خطوتين نحو الأمام ثم قفلت عائدة نحو الوراء، تكتنفها غصة، وبعد أن تابعت السير مخلفة كل الآمال الحلوة، أحست بخطوات مسرعة تلاحقها وظللتها سماء قاتمة مانعة الهطول، الذي صار غزيراً، استدارت، رفعت رأسها، فرأت قامته الطويلة ويده تحمل المظلة، كان يبتسم لها، وتحت جزء من المظلة التي حمتهما من المطر قال لها:

- أحبك .. هيا لنكمل السير على الأقدام لموعدنا.

2001-04-18

صفقـــة

قبل أربع سنوات، التقت به، في حفل زفاف ضخم، أقيم في أكبر فنادق البلد.

كانت فاتنة ومظاهر الثراء تبدو عليها، انتهز فرصة، واعترف لها بإعجابه الشديد بها قائلاً:

- أحبك ..أتمنى لو أتزوجك،

فرحت كثيراً، كان شاباً وسيماً، لكنه اختفى بعد أسابيع ولم تعد تعرف عنه شيئاً، لم تنتظره طويلا، عقدت صفقة ، تزوجت وسافرت.

في الصيف الرابع، كان عليها أن تعود مع زوجها إلى الوطن، لتحضر زفاف شقيقة زوجها.

في حفل الزفاف، الذي أقيم في أكبر فنادق البلد ...كان يجلس في المكان المخصص للعريس؟؟.

2002-04-17

الحب هو ....؟

الموظفات الثلاث، كن في مكتب واحد، وحالما بدأن في تناول فنجان القهوة الصباحي، افتتحت أكبرهن الثرثرة اليومية بفلسفة معنى الحب فقالت:

- الحب إحدى حالات الوهم، وإذا انسقنا خلفها ستؤدي بنا حتماً إلى الجنون إن هذه العاطفة لا يحتاجها إنسان حقق التوازن النفسي.

لكن الأصغر منها والتي لم تتجاوز التاسعة والثلاثين بعد اعترضت قائلة:

- بلى،الحب موجود يا عزيزتي، لكنه لا يطرق إلا أبواب المحظوظين وذوي النعم من مال وجمال وجاه.. قاطعتها الموظفة الثالثة والتي قاربت الثلاثين من عمرها:

- الحب حالة عشتها أكثر من مرة، وفي كل تجربة كنت أظنه الحب الحقيقي، لكن فشلي لا يمنعني من الإيمان بأنني سألتقي به حتما .. وهنا فتح الباب ودخلت زميلتهن التي لم تتجاوز الرابعة

والعشرين، سمعت كلمة حب فابتسمت واستعارت المسطرة الموجودة على مكتب إحداهن وقبل أن تغلق الباب خلفها خاطبتهم بإيجاز شديد قائلة:

- الحب هو قطعة بقلاوة..!

ثم استدارت وأغلقت الباب فأغلقت الجلسة.

2002 -04 -17

متفائل ومتشائم..؟

كانا يستقلان الحافلة معاً كل صباح، وانطلقت أغنية من المذياع تحكي عن الحب وأفراحه، تذمر المتزوج حديثاً وقال لزميله الأكبر سناً:

الحب هو مجموعة من التحديات تواجه عاشقين وحينما يتغلبان عليها ويصبحان معاً تحت سقف واحد يأخذ كل طرف في تحدي الآخر؟!

رد عليه الرجل المخضرم بابتسامة واسعة وقال:

الحب شجرة تنبت في غفلة منا في صحراء العمر، فإذا ما اعتنينا بها صار لدينا حديقة كبيرة ملأى بالأشجار.

2002-04-18

جمرات الذاكرة..؟

الوحدة غدت وحشاً خرافياً، يتمدد في فضاء غرفتي، لا أحد، لا هاتف، نحن في مدينة واحدة، لكن المسافات بيننا تتبعثر دون بوصلة تهدينا إلى لقاء آمن!

- هل هذا كل ما تبقى لي؟ أو أن ما تخبئه لنا الأيام أجمل، لتنسينا هذه الخيبات المتلاحقة ؟

أسئلة تطاردني، وتستفزني للالتصاق بجمرات الذاكرة، المزروعة على عتبة رف المكتبة العريض قبالة طاولتي. ابتسم لها، ابتسم في وحدتي لصدى صوتك بعد رحلة الجنون، وأنت تهاتفني بعدما أوصلتني إلى بيتي:

- حمداً لله على سلامتك، رغد هل كنا نحلم؟ أم أن ما حدث هو صدق القرار في تلك المغامرة؟

- هذا خيارك حبيبي؟ ويلفني الصمت من جديد تعود البرودة إلى الجهاز الصغير بين يدي،أهرب لأتدفأ بالذاكرة؛ وخشب الأبنوس والجلد الذي صنع منه تمثال فرسين ينهضان على قوائمهما الخلفية،

وضعتهما متقابلين بين كتبي وأشعاري، وأكاد أتخيل صوت لهاثهما، الذي يشبهنا !!!"أليس هذا تعبيرك" ونحن نقف في محل بيع الهدايا والتحف التذكارية، في البلدة السياحية،كنت تنوي شراء هدية لتبقى تذكاراً من رحلتنا، فإذا بها تتحول إلى جمرة متوقدة في الذاكرة، كلما قابلتني على رف المكتبة.

حينما وضعهما البائع، على الطاولة نظرت بإعجاب لذوقي في الاختيار، وقلت لي وعينيك تعمق المعنى الذي قصدت:

- فرسان يلهثان، منفلتان من كل القيود، طليقان، مسافران إلى هذه البلدة.

2

"السفر براً" ..

أدهشك الاقتراح، وأنت لا تعلم ما أخفي من قصد وراءه، كنت أهرب من الأحزان أداويها بحضورك معي، بعيدا عن هذه المدينة التي شهدت انكساراتي، وبقيت شامتة بهزائمي، وحدك – عليّ – كنت مؤمناً بقدرتي على تجاوز ضعفي، المهم أنك وافقت بكل سرور"

- رغد، حبيبتي انشغالاتي كثيرة، لكن نسافر معا!أنا أيضاً أحتاجك معي، أخلع التزاماتي العائلية والوجوه المنافقة الملتصقة بجلدي كبراغيث المياه ...حبيبتي أنتِ.

- يوم سفرنا سيصادف عيد ميلادي، أعلم أن ذاكرتك لا تتعبها بحفظ تواريخ المناسبات ..

" وأركض في خطوات مجهولة معك، مخلفة ورائي تاريخ عشرة أعوام مضت على زواجي السابق وقد قرر الهروبَ من شاركني الرحلة، بعد يأسه من أن يكون أبا، الأطباء قالوا:

-لاشيء يمنعكما من الإنجاب كلاكما صحيح، ربما يحصل من شريك آخر...

استجاب لهذا الحلم، وقرر أن يبدأ من جديد مع فتاة مرت في حياته مصادفة. فهل أنام وأصحو مع الأحزان أم أفتح نوافذ العمر للحب الجديد معك" ؟

3

كنت من أعز أصدقائنا القدامى، وبقيت الصديق الوحيد بعد الغياب، منذ شهور وأنت تناور لتعبر عن حبك الكبير لي، حب صمت لسنوات، غلى وعربد داخلك، وأنا كنت أصب عليه ماء الإخلاص فيبرد، كنت تغيب وتحضر..ولم أفهمك أبدا..الآن عرفت كم هو موجع أن نكون بحضور الحبيب ولا نلمسه.!!

على الهاتف في أمسية مرت، وأنت تطمئن على سمعتك تهمس:

- أحبك.. أحبك رغد؟؟

- دعوة للحب؟ أم لأكمل مشوار الحياة معك، على إثم خراب مدينتك التي بنيتها مع زوجة وطفلين؟

- كلا .. هل كنت أقدر على الحب، لو أن في داخلي امرأة أخرى غيرك .. مُدني انهارت منذ زمن بعيد قبل أن التقي بك!!!

"تواطأت مع الدعوة، وقلت لنفسي،من ذا يقدر على اغتيال مستقبل أحلامي، التي لن تتجاوز حدود المستحيل ولا تكتفي بالممكن والواقع، أحلام أميرة فينيقية،حلمها بمساحة رقعة جلد تحولها إلى خارطة مدينة بوسع آفاقه، وأنا ليس لدي أكثر منها مدى ..! أبني مدينتي فوق خرائب مدينة منهارة، على مدى اتساع الجرح في قلب عَليّ، وعلى امتداد الشرايين في قامته الطويلة، مدينة لي وحدي، فأنا لا أقبل إلا بالكل..أو لا شيء، حيث أقف على راحة كفه العريضة، فيكون له متسع من الوقت، والخيار في ضمي إلى حناياها ومن ثم ردها مبسوطة أمام شمولية النظر، وكلما ابتعدت عنه ضاقت المسافة إلى وريده..واقتربت أكثر من ذاكراته..أعشش فيها، وأطمح في دخول متاهاتها المليئة بالأسرار التي جذبتني إليه، الرجل الذي أحب يجب أن يكون غامضا يحمل لغزا عصيا لأبقى أطارده لآخر العمر أثبت جذوري في قلبه أشرش مثل سنديانة فلا يقدر أحد على انتزاعي منه.

4

هذا الأسبوع الثاني يمضي، بعد رحلتنا، والاتصال صار صعباً، ولم أعد أسمع سوى نغمة واحدة من هاتف البيت:" الهاتف مقفل والرجاء سداد ديونكم المستحقة" ..وأنا أرجو سداد ديون الشوق التي استحقت عليك، وربما مضى العمر بنا وأنا وأنت مازلنا نسدد ما استحق علينا من ديون لها..""والهاتف النقال استنفدت بطاقاته، في رسائل لك ودون إجابة منك،" ونحن في الطريق، ويدك على المقود،كنت تحاول ابتلاع كل هذا الامتداد، تلهث بسرعة جنونية، تحاول اجتياز الحد الفاصل بين جغرافية المدينتين، التي نرحل عنها، وتلك التي تنتظرنا، قلبي يرتجف ولا أقول، حمايتك تظللني، تكسر المخاوف التي تغافلني، وأنا أتمنى كسر الزجاج، بين الحدود الفاصلة، مدينة تحصن الحب بالعوسج، وأخرى يتنفس فيها من رئة نظيفة.. تفاجئك رائحة القهوة الساخنة، التي حملتها معطرة برائحة الهيل، تبتسم، أشتهي أن أضمك إلى صدري، تطلب مني الاستماع:

- اسمعي هذه الأغنية التي أسمعتك إياها على الهاتف!

- أحبك..لأنك تعرف كيف تكون رجلاً وعاشقاً ومجنوناً في آن!

- أنت امرأة مجنونة وأنا رجل يهوى الجنون وهذه الرحلة دليل..

"أسأل نفسي ما لذي أحببته فيك يا علي؟..تفاصيل كثيرة أعدها ولا أنتهي ...".

- الحب نتاج تفاصيل تجمله وربما من ذراتها يتسرب إلى دمائنا!

يضحك

- أنت تكتبين الشعر..أنا فقط أحبك لكن التفاصيل تتغير باختلاف نظرتنا إليها، في الحب نرى جمالها، ولو غادرها تصبح التفاصيل عذاباً آخر..

يهدئ السرعة وصوت الموسيقى..ويقول بجدية وصوت آسر:

- وصلنا نقطة تفتيش، تصنعي العبوس والجد لنتجاوز الحدود وهؤلاء الحراس ..

5

العاشرة ليلا، وأنا على شرفات الانتظار أذوب كشمعة، غيابك موجع هنا، وحضورك رائع هناك في البلدة السياحية، أنت هنا قريب أفتش عنك الأمكنة، ولا أجدك ترد على الهاتف :-

- حبيبتي، مشغول جدا هذه الأيام، تعلمين...

العاشرة، أرتدي ثيابي، وأقرر الاتصال من مكتب البريد، الموظف يقسم أن هاتفك المحمول قد حفظ رقمه، وأنه مازال مقفلا،

لكنني متأكدة أنك تشتاق إليَّ، وأن الاتصال بي غير ممكن ، لكنك لا تحاول .. اعترف؟!

أعود إلى غرفتي، الشعر لا يهطل مع القلق، والكتابة تغدو وجعا آخر، وهي عصية عليَّ، كثيراً ما احتمل، فقط كلما التقت عيناي الخيول الجامحة وهي تشرئب بأعناقها لأعلى، تحتل صدر المكتبة، فيتناهى إلى صوتك ونحن في الطريق:

- لننس تجارب الماضي، والمستقبل سيأتي حتما، الحاضر هو ملكنا، العبارة تقنعني، لكنها لا تلغي طموحي، أنا امرأة وحيدة، ألتقي الحب الكبير، بعد أن يمنحني القدر حرية أن أحيا دون ارتباط، أجدني أبحث عن تلك القيود داخل أسوارك... أناورك كأي فتاة شرقية، ونحن نتجاوز آخر نقطة على الحدود:

- صديقي الرسام، دعاني لنحتفل في مرسمه برفقة الشلة؟ وقال: عيد ميلادك سيكون سهرة لا تنسى، وإذا لم تأت، سنحتفل به أيضا ونضع في مكانك الشاعر شمعة!

" تبتسم بثقة والانتصار يستحوذ مشاعرك بعيدا عن الغيرة، فأدرك أن صنارتي لم تغمز صيدها بعد! تقول لي :

- رغد أنت حبيبتي ومعي أنا..!

"لكن رحلة الصيد عندي لم تنتهِ بالرمي لمرة واحدة، فأعيدها بطعم جديد.

- زميلي في القسم الثقافي والذي طلق زوجته منذ خمس سنوات، كل صباح يتغزل بأنوثتي، ويقسم أن لا حلم له سوى الارتباط بي بالأمس قال:"إن حياة المرأة الحقيقية تبدأ بعد الأربعين، حيث هناك فسحة واسعة للحب؟!

"لكنك ترفع صوت الأغنية التي نحب متجاوزا ثرثرتي،"

- اسمعي الأغنية التي تقول: إن الحب سيعوض عما فات وعن الذي لا يمكن أن يكون إلا به..رغد: المهم ليس من نتزوج بل من نسلمه القلب العاشق.

6

الليل يفرط ساعته، وأنا أتبعثر أشلاء من القلق، أعلم، الوقت فات ولن تأتي متوارياً في سيارة لا يعرفها أحد..وتعبث بي الأفكار ماضية إلى البداية، بعد أن تآخيت مع أحزاني وذبلت غرفتي، وفي هذا المنزل الجديد، اخترته هربا من الماضي، كان اتصالك بي كل مساء يسلي وحدتي، يرن الهاتف... أنظر إلى رقمك فأجده، قلوب متراقصة على شاشته.. أحببتك يا عليّ؟؟ لن أكذب على ذاتي، لكنك أقسمت أنك أخفيت مشاعر حبك لي سنين طويلة حرصاً عليّ.

وأسألك ونحن نطل على الحديقة، من شرفة الفندق، وبرد نيسان يتسرب من شقوق الثوب الشفاف:

- لماذا التقينا في منتصف العمر؟

" تبتسم، وترفع كفك إلى فمي،تسكتني، فأطبع قبلة دافئة عليها..وترد:

- هذا أول العمر، أول حب، أول رجل ... أنا أحبك بهذا القدر، ولا أراك تجاوزت العشرين .

- عليّ، أشعر بالبرد، لم أحتط له، ملابسي خفيفة ؟

"ألمح في عينيك خوفا، تأخذ معطفك الكشمير الأخضر، تلبسني إياه وفي نظرتك زهو وإعجاب بي، كان فضفاضاً وطويلاً، يتناسب مع قامتك الطويلة التي أحب..شكلي مضحك فيه وتقول:

- جميل عليك، يناسب لون عينيك..وتأخذني بين ذراعيك، وأتذكر عبارة تعني "أن المرأة لا تمنح رعشة الحب في جسدها إلا إذا عشقت، والرجل لا يهدي قلبه إلا لحبيبته..وأنا وأنت كنا جسدين بقلب واحد! أدرك تهربك من الإجابة في تلك الثواني، على سؤال يطاردني (متى يكون الزواج؟) أحياناً يخطر في بالي أننا نتواطأ بشكل مدهش في نظرتنا لفهم الحياة..مع ذلك، دوما تسبقني بمسافة ما، فحينما أكون مستعدة لتسلق أول درجات السلم أجدك تنظر إلى قمته..وحينما أصل، أراك سبقتني، فتحتويني بشعور الحماية،فأحدث نفسي بفخر،أنا تحت أعطاف رجل قوي، يدرك العالم الواسع من حولي.."

7

انتهت علبة سجائري الخفيفة، وفي الليل متسع للسهر، أتذكر، في حقيبتي علبة سجائرك، التي حملتها لك ونحن في صالة "الديسكو" حيث كانت المفاجأة تنتظرنا. والتقينا "عمر" أحد معارفك الكثر، كنا نجلس على المقاعد الوثيرة في الصالة المعتمة، والتي ترش الأنوار فيها ملونة خافتة مرة، قوية مرة أخرى، ويلفنا ضباب السجائر والقلوب المشتعلة، وحيث لا يطفئ الظمأ سوى نبيذ ورقص مجنون، في تلك اللحظة شعرت بالخيبة، نحن نفر من وجه المدينة فإذا بها تتبع آثار خيولنا التي رمحت بعيداً، لكن يدك تسللت في الظلمة، وعانقت يدي فسرى الاطمئنان إلى روحي وهمست لي: - لا لا تخشه، هذا رجل حضاري جدا يستوعب الأمور.

ورحب بنا وكأننا ضيوفه:

- أنا مقيم هنا، منذ ثلاثة أيام ،هذا الفندق غالبا ما يكون المحطة الأخيرة،، قبل عودتي من كل سفر،لقد استرعى انتباهي سيارتك في المرآب،لكن عاملة الاستقبال(صديقتي) سحبت قائمة الأسماء فتأكدت من وجودك هنا..ودخلتما في حديث ودي، كان مهذبا ولطيفا، وأدهشتنا المفاجأة التي حضرها، حيث بعد دقائق من انضمامه إلينا، جاء النادل يحمل في يده كعكة وعليها شمعة واحدة!!

وتبادلنا نظرات الاستغراب معا! كنت تريد نفي التهمة عنك وأنت تعلم أنني هربت من الاحتفال بعيدا عن الذكريات، التي أحرقت أوراقها قبل أن نسافر، ويأتي عمر صديقك يقدمها:

- عيد ميلاد سعيد يا سيدتي.

- وتابع

- آسف لتطفلي، لقد قرأت تاريخ ميلادك من جواز سفرك في الاستقبال!

- ابتلعت قلقي وصار للاحتفال طقوسه، وقلت : "كم يعجبني ذوقك يا حبيبي في اختيار الأصدقاء، رقصنا وثملنا وقبلتني سراً ملتحفاً عتمة مفاجئة.

8

لا أتذكر كيف ومتى أشرق الفجر علينا، فقط أحسست دفء القبلة التي طبعتها على جبيني، وذهبنا إلى سوق البلدة السياحية، كنت أتعلق بك مثل طفلة تستشعر حماية والدها، وأنت تدللني وتشتري كل ما أشير إليه، كانت الحرية تمنحنا الانطلاق، هنا لا أحد يعرفك، فيوقفك لطلب خدمة، وأنا لست بشاعرة طفقت شهرتها أرجاء الأرض،هنا امرأة ورجل عاشقان ومناخ البلدة لا يحتمل سوى

عواصف القلوب. عدت أحمل خيولي الجامحة، كنتَ تريد النوم لساعة قبل أن نقفل عائدين، بينما أمضي الوقت في قراءة المجلات، وُكنتُ منسجمة تماما وأنا أحلم بتلك التصميمات للبيوت الجميلة والأثاث الرائع، وأفسح مكانا للخيول، وأين سأضعها حينما يضمنا بيتنا الدافئ، فجأة وجدتك تنهض تعانقني بشغف، وتقول:

- أيتها الفاتنة، المرأة الغاوية، تسترخي في جلستك، وهذا الروب الزهري، يزيد فتنتك وأنت تقرئين، لقد غلبتني طريقتك في الاستلقاء على الكرسي ولم اقدر على النوم، أغويتني؟! الحياة معك جميلة.

ثم تنهدت:

- وفقط..؟" كنت أتمنى لو أضفت، اليوم سنتزوج وليأتِ الطوفان لن أرده. ولن ينازعني أحد فيك ...في هذه اللحظة خشيت أن يهرب العمر من تحت معطف الوقت الثمين، الوقت أدركنا، وعدنا"

9

... هاهو الليل ينتصف"... جرس الباب، يتحرش بالهدوء القلق، أنهض مسرعة، والنفس تحدثني بفرحة، علي لن يأتي !غير معقول؟! لكن الغرفة اتسعت بأشواقها،وصلت، فتحته، كان سائقه يقف قبالتي ويمد يده بمظروف:

- مساء الخير سيدتي، سيدي يقول لك إن في المظروف بطاقات للهاتف، يرجوك الاتصال به!

أغلقت خلفه الباب، والسؤال يلح من جديد، هل كان يجب الانتظار كل هذا الزمن لأعرف أنك لم تعد تحتمل الغياب والشوق؟

أسمع صوتك، أثور في وجهك أهاجمك بنزق طفلة لم تعتد رفض طلباتها، كنت أقتحم صمتك بقوة الحنين التي تغلي داخلي، تحتمل بهدوء كل غضبي، تطفئني، يأتي صوتك حنوناً لكنه قوي النبرات:

- حبيبتي ...اسمعي هذه الأغنية!

- "اسمع!

وأسمع، تحملني الموسيقى إليك،تضمني إلى صدرك،تأخذني بقوة، تسكب مياه بحرك على حمى البراكين المشتعلة منذ أيام، بصوتك يساير النغمات تغني لي، أتحول إلى قطرة ماء تسيل، تتلاشى، تندمج في محيطك الهادر، أسألك:

- حبيبي،هل سمعت بأن النار تصبح ماء؟

- يحدث حتماً، في الحب فقط!

- ها أنت تعود إلى عادتك معي،هكذا عليَّ أحبه!؟

- أجل،ستنامين وتصحين على صوتي.

همست..وفقط ؟؟

10

فقط، أعود بين جدران غرفتي التي حاصرتني وطوقتني الوحشة فيها أياماً..يأتي صوت علي، يرفع السأم والوحدة القاتلة، أعود إلى فراشي، يعصيني النوم، الطاولة تناديني والأوراق تغمزلي، أثرثر معها عنه، وفرسان جموحان يغازلان الذاكرة، يستيقظان فيها جمرتين تنهضان بالأشواق، أكتشف أنهما كانا يبتعدان عن بعضهما، أتكاسل، ولكنني أنهض من جديد، أقرب المسافة بينهما أكثر وأكثر. ضاقت ...تعانقا، وشعرت أنهما غافيان، وأن جفوني تحمل ماء يطفئ هذا الجموح دائم الاشتعال داخلهما.

2002-04-16

ذاكرة الأصابع

1

عند الفجر، كان وصولنا إلى مدينة الحمامات في تونس، زجاج السيارة مغبش بقطرات مطر عالقة عليه، وكأنه لوحة رسمتها لذاكرتي، التي فقدت صفاءها، وتداخلت الصور فيها،هل حقا يحبني لطفي؟ ترى كيف ولماذا وبأي طريقة يفعل ذلك؟ وتتالت الأسئلة حتى ما عدت أدرك مطالبنا في الحب أين تقف؟ دخلنا الفندق، تناولت الأوراق من موظف الاستقبال الذي رحب بنا:-
حمداً لله ع السلامة، أنت مريم الفنانة التشكيلية،وصديقتك الشاعرة سميرة ضيفتا المهرجان؟

-أجل(تخرج بصعوبة) أتأمل من حولي المكان، وأقول(المهم أنه ليس الفندق الذي يقيم به لطفي) لم أعد أحتمل صفعة عاطفية جديدة، يكفيني من الحزن يوم وليلة مضت، وصدى صوته، أسمعه مساء أول أمس يتحدث إلى صديقتي هالة من تونس، وقد ساقه الفضول ليتعرف إليها، بعد أن صنعت المصادفة مؤامرة لم أتقصدها،

أوقعته في الفخ، حينما أرسلت إليه قصيدة شعر أعجبتني من هاتفها، كانت ذاكرة أصابعي أسبق من تفكيري وأنا أضع رقمه بدل رقمي! وتم الإرسال!

2

هذه ليست المرة الأولى التي يخفي سفره عني، لأنه يعرفني امرأة مجنونة، ويستيقظ ليل طرابلس فيَّ ونحن على بوابة الفجر التونسي، ولطفي يفتح لي بوابة قلبه وبيته الواسعة بعد منتصف الليل ويقول:

-مهبولة! امرأة مهبولة هكذا أحبك.

معه، تتهيأ كل طقوس الإبداع، نستمع إلى الموسيقى ونرقص، أرسم له وجوهه بألوان زيتية، يعترض عليها ويدعى أن قلم الرصاص أكثر تعبيرا في الحب، أقنعه أن الفن في سباق دائم مع الحب، دعني أرسم لحظتي هذه كما تترائى داخلي.

- أتمنى لو نترافق في سفر جديد كما المرة السابقة، تقضي أعمالك وتتجدد روحي، لتنعكس على قماش لوحتي ألوان أكثر إشراقا؟

- سأضيع معك عندها وتضيع صفقاتي!

- يخيفك جنوني؟

3

الإجابة أعرفها ، كلانا تائه في مدينة واحدة في غياب الآخر، أدركتها أكثر الآن، وأنا أستعيد تفاصيل من الأيام الماضية، كان في ليل طرابلس شيء يغريني للمغامرة بعد أن أيقظ الشوق الحب، ومن بحرها هبت ريح الجنون، تنفستها فغدوت ممسوسة بالشطط الذي حملني على أجنحته إليه، أخذني من أقصاها شرقاً بمحاذاة البحر، تقودني رغباتي بعد انتصاف الليل، إلى أطرافها غرباً. كان صوت لطفي في الهاتف يستفزني قائلاَ: هيا طرابلس باتت تسهر حتى الفجر، ألكز بمهماز الشوق، محرك سيارتي، وباتجاه ميناء الشعاب ، أسلك طريق الكورنيش بعد أن بدأ ازدحامه يقتصر على بعض العشاق، لكن الأضواء المنعكسة على البحر تضيء طريق اللهفة،تنتهي بي الطريق بمحاذاة البحر أيضاً، إلى حي مسكون بالصمت والعتمة، أجده في انتظاري فيجهض خوفي، والبوابة الواسعة تنفتح لتضمنا معاً.

4

لهذا، وافقت على المشاركة المتأخرة في المعرض لأكون وإياه في مدينة واحدة ،دون أن أخبره، أريد امتحان صبري، على عدم

سعي للقائه، في مدينة شهدت على حبنا، واعتقدنا أن تونس لم تشهد على عاشقين مثلنا أبدا! لأن ما فعله لم يصل حد الخيانة، ولكنه تجاوز حد الشفافية.

5

أطلب من موظف الاستقبال مسكناً للألم فيعتقد أنها معاناة السفر براً، وأسرع إلى غرفتي. . السفر براً وطريق طويلة تعني التريث، لمشاريع من التأمل، ولتهدئة مزاج الرحلة اخترت كل الأغاني التي شكلت ذاكرة الحب، لتحاذي الجرح والسفر. هل أستعجل حضور المهرجان فعلاً؟ أم جئت أحمل طغيان الأسئلة، أرميها في وجهه وأرحل؟

أتيت هاربة منه وإليه، إنه القدر يشمت به فيسبقني بيوم وليلة واحدة دون أن يعلمني ويسخر مني فتأتيني دعوة إلى نفس المدينة، ارتضيت سفره دوني، صارت أغلى أمنياتي، سماع صوته على الهاتف، لكن أعماله شغلته عني، (في ليلة سفره كنا نتحدث على الهاتف، في الوقت الذي قطع فيه بوابة الحدود التونسية سرًّا، ثم كعادته يعود ويعتذر لانشغاله وعدم توفر الوقت ليتصل بي،) وفي الصباح تخبرني هالة: أن لطفي اتصل بها،ليتعرف على من تكون، ظنها امرأة تحاول التحرش بعواطفه، وقتها، شعرت بهزة عميقة، لرهاني الخاسر على حكمته!

6

صعدت إلى غرفتي، فتحت حقائبي وبدل أن أفتح خزانة الملابس انفتحت أبواب الشك، لم يدعني يوما أشك بحبه لي،بالأمس دفعني رهاني الخاسر، لامتحان قدرتي على الانسحاب من حياته، فأكملت اللعبة ، بعدما قالت هالة لي: مريم يبدو أنه لا يمانع في الحديث معي!

وذهبت إلى هالة وطلبت منها الاتصال به، على رقم هاتفه في تونس، كانت أمنيتي أن لا يعيد الاتصال كما يفعل معي دائماً، ثوان قصيرة رن الهاتف وقفز قلبي، فتحت هالة مكبر الصوت في هاتفها، وادعت أنها أيضا تحاول معرفة من استخدم هاتفها، تحدثا طويلا دون أن يدعي الانشغال، اسمع صوته أحس حريقاً قادماً يدمر ثقتي به، وامتلكني خواء سريع، خلفه رحيل حب لا يعوضه آخر، فكل حب يحمل جراحه وعطبه وعلامته العاطفية المسجلة. اسمع ثرثرته معها وهي تنظر إلي مرتبكة فأشير :أكملي، كنت أريد الانتهاء منه.

هالة، تواطأت مع جرحي، وقررت استدراجه لتعرف منه إذا كان يعيش حالة حب أم لا؟؟ لكنه لم يفعل، قبل أن أحمل حقيبتي بنصف نهار،انهالت عليها الاتصالات، وأنا لم أرحم عذاب صديقتي،

بعد كل اتصال، تعيد علي حواراتهما، فقررت إنهاء اللعبة، أشفقت عليه أولا من عبث لم أعرفه عنه، وعلى هالة من دور لا تجيده، وعلى نفسي من وجع خيانة أورطه بها، طلبت منها أن تخبره، بصداقتها الحميمة لي، فكانت ردة فعله دهشة كبيرة من سفري دون علمه؟

خواء ، لوعة فقدان، حسرة، جرح بمساحة الحب،غايتي أن ينتهي الحب بالتقسيط، لأننا في كل تجربة حب ننهيه بإطلاق رصاصة الرحمة، ندخل بعده في حب جديد،يجعلنا ننسى حماقتنا، الآن أرغب بمساكنة الألم بشدة، بقدر ما أعطيت بكلي ، بصدقي الغبي، أريد أن أطعن قلبي بسكين خيانته بهدوء... أتلذذ جرحي وأشتهي لعق مرارته حتى لا أنسى ألمي، وانتهت المكالمة على وعد آخر للاتصال بها في وقت متأخر من الليل.

7

الليل الذي حملني إلى تونس، الليل وأغاني الحب والسفر،فجرت الإحساس بالحزن أكثر، كنت أبكي ضلاله، وادعي أنني أكبر من حزني لفقدانه بقدر امتلائه داخلي، حقدت على نفسي المهزومة بعد الخذلان،

على إسفلت الطريق ليلاً، تهيأ لي وكأنه فم يمد لي لسانه الأسود قائلاً: لن يقول عنك شيئاً، فغواية امرأة مجهولة تزيد من

عبثه! كانت حقيبتي ما تزال مفتوحة وثيابي مبعثرة، لا أعرف متى نمت على سريري، نهضت على رنين الهاتف، هالة تقول لي:- مريم انتصري لفنك أخلصي لمريم فقط فهي تستحق. وأخبرتني كيف رفضت عقد صداقة معه تقوم على صدفة، جاهد لإقناعها أن ما حصل أمر عادي،لأنه لم يمتلك الجرأة ويطلب منها: عدم أخباري بالحقيقة، أتى بود موارب، قائلاً: مريم لا تعلم بسفري ؟

8

استمعت إلى نصيحة هالة، مضت أيام المهرجان وكنت احتمي من عروض الرجال الذين حاولوا استرضاء أنوثتي بعبارات الغزل، بمرافقتي للنساء المشاركات ، نجوب مدينة الحمامات ونسهر معا في غرفة واحدة، كنت أتخيله يتجول في أحد شوارع مدينة الحمامات، ثم يتوقف في سوقها القديم أمام محلات بيع الحلي الفضية باحثا عن هدية لي، وكلما دخلت إلى مقهى، أستعد لمقابلته فجأة، وأخشى ضبطه جالساً مع امرأة غريبة، كنت أحس أنني امرأته الوحيدة وإنني لرجل هو لطفي فقط.

9

في آخر يوم من أيام المهرجان، حملت حقيبتي، ونسخاً من

الصحف التي أجرت لقاءات معي ونشرت أخبارا عن المعرض، وصورا لي وأنا أستند على عمود المقهى البحري، البحر خلفي موجه يشبه غضبي يرتفع عالياً، لكنني لم أنس من رسم ابتسامة على وجهي.

10

غضبي، بعد العودة بأيام يتضاءل كلما اجتاحته عاصفة شوق، وأنا انتظر اتصال لطفي بي، انتظاري يخذلني بين التصور والواقع كأنني أفرط بتلات وردة وأقول سيتصل ،لا، بلى،لا

ذهبت إلى هالة:

حالما رأتني ابتسمت وقالت: لماذا يصر لطفي على جني الخسارة؟ أخبرتني أنها اتخذت قرارا بعدم الرد عليه، لكنه مصر على الاتصال بها

- ما أجمل إخلاص امرأة لصديقتها لكنه لا يعوض عن حرماني من إخلاص لطفي؟ الذي لا يعترف بالهزيمة لن يحقق النصر، أعرفه مقاتلا شرسا في الحب ماله اليوم جباناً؟

ترد هالة:- بقدر حبه سيتأخر في المواجهة، وبقدر امتلائه بك يشعر بالذنب.لا تقسِ عليه.

- أنا امرأة متطرفة في الحب والقسوة، إذا كان حناني لم يملأه بحبي، ربما قسوة الانتظار تجعله مدركا لخسارته.

عدت إلى البيت أحاول إتمام لوحة بدأتها،ألوانها متوهجة باللون الأحمر، ألعق قطراته على إصبعي يلذعني طعمه، مازلت ذاكرة اللون تحمله في شريان القلب، انتظر الوقت، وأعلم خطر المجازفة في الحب، لكن صمته، وعدم محاولته الاتصال، يتحايل على صبري، فأراهن على شوقه.

كانت عتمة الليل تنسحب وضوء الفجر خجولاً: رن الهاتف، شعرت بأن ذاكرة الأصابع تخون صبري على الاحتمال، ضغطت على زر الإجابة:

- أعرف أنك امرأة مجنونة؛ لكنك لا تدركين مدى خوفي على جرحك، تورطت في الحديث مع صديقتك، كل الرجال يفعلون ذلك دون حذر ، مريم أقف على الشاطئ القريب من بيتك هيا أعرفك امرأة مجنونة احملي أقلامك وتعالي ارسمي البحر، سكبت لك كوبا من القهوة لا تدعيه يبرد؟

كانت المسافة بيننا، لا تتجاوز الخمس دقائق، لكن الطريق لم تزدحم بالحركة بعد، من بعيد رأيته يقف متأملاً حركة الموج، بدا لون الأفق بلون ليلكي مندمجا بلون البحر، وزبد الموج يلمع بلون أبيض، كأنه فقاعات تغلي على سطحه ثم تنطفئ عند رمل الشاطئ،

مد يده نحوي، قال:

- الخطايا الصغيرة في الحب مثل الزبد سرعان ما تمحى لو طغى فوقها مدٌّ الحب الكبير.

2005/6/3

على باب الجنة ؟؟ ؟

"منذ زمن بعيد كنت انتظر هذه النهاية ...لأنها إجابة منطقية لكل ما حدث بيننا ... والرحيل عنك أخذ من زمني الماضي الذي جمعنا ... ومنذ أصبحت بيننا مسافات بحجم الاحاسيس المتباعدة وأنت تجلس إلي جانبي .. تمسكت بحبك حتى لعقت آخر قطرة وهم فيه ... ثم انتظرتك لتجمع حقائبك وترحل ... لكن حتى هذا الخيار كان بعيدا عن مخيلتك ... لأنك مازلت تحيى بشعور تلك اللحظة القديمة:

"ونحن نصعد طريق بيتنا الوعر، ألا زلت تذكرها كم كان رائعا أن نعاود صعودها في اليوم أكثر من مرة ونعتبرها أحلى مشاوير العمر.. ولم تكن معاً للخروج إلى العمل صباح ومساء وربما إلى الحديقة القريبة من البيت" وسألتك يومها:

- ما هو شعورك الآن يا حبيبي .بعد مضي شهور على زواجنا ؟

- "إجابتك مبتكرة كما هو كل شئ أجده فيك مبتكراً ورائعاً متفرداً، حتى في أحاديث بسيطة حيث يحلو لي أن أحلل

جزئياتها وأفرد لها من وقتي الكثير استنبط المعنى المختفي وراء المعنى الأجمل .. وهكذا ... "

يومها ، قلت لي: لم أشعر حتى هذه اللحظة بأنني متزوج ..

كدت أطير من الفرح .... يا ألهي أخيرا، هذا هو الرجل الوحيد على كوكب الأرض لا يشعر بكابوس الزواج وأنه حر..لأنني أتحمل مسؤولية نفسي وأخفف عنه عبأها! وقتها اندفعت أعطي مزيدا لك ولحياتنا المشتركة وفيما بعد لأطفالنا ..، ولم أعي مدى الحماقة التي أوقعت نفسي في شركها .... بعد خمسة عشرة عاما، أفقت على صراخ جسدي المنهك ...وعقلي الذي يعمل أربعاً وعشرين ساعة في اليوم ...صراخ المشاعر المكبوتة المحتاجة لتبادل العطاء بمثله،فعلت هذا لإيماني بأنك حبيبي، استسلمت برضى وسرني إعجابك ولم استمع لقلبي وروحي العطشى للحب، فإذا بي أبدأ بالعد التصاعدي لمجموعة كبرى من التنازلات، من قبلي فقط...

خمسة عشر عاما ، أصبحت هرما ثقيلا يجثم على صدري وقلبي وعيناي وأذني وفمي .. وحلقي إنه الاختناق في بحر الحب المزعوم، ولماذا تندهش اليوم مني ...لأنني صرخت بصوت عال ..هستيري ..لا يليق بي ؟؟

لأنني أخذت أهذي بجنون .. أمامك...

أصابني الجنون فجاءة ، لهذا ستجد نفسك في البيت

وحدك ...أريدك أن تستريح مني والأفضل أن أمزق هذه الرسالة ولتتبعثر في وجه الريح التي طالما عصفت بي ..فهي أولى بإحساسي أكثر منك .. لتبقى همومي قصاصات تائهة تدور في الفراغ وتسقط بعيدة عن دائرتك ....

ستعود يا حبيبي لتجد كل شئ على ما يرام ..البيت نظيف مرتب ...والنباتات المغروسة في الحديقة والتي نالت من إهمالك الكثير قد رويتها ماءً عذبا ....وكل الثياب والحقائب لم تغادر معنا، بقيت هي الأخرى تمد لك لسانها ولاتعترف بما دار في غيابك من أسرار ...لم نأخذ معنا شيئا، النقود وكل الحلي هي لك.....

لكن الشيء الوحيد الذي لن تجده .....نحن ... وشئ آخر هام ستفتقده ولا أعلم إذا كنت ستشعر بافتقاده حقا أم لا ؟لم يعد يهم..!!! لأن الوقت قد تأخر حقا عليك.!!

سأدعك مع هذه الجدران العالية والتي تعتقد خطأ أنها صماء .... أدعك لها لتحدثك كم مرة سمعت صدى صوتي المخنوق يرتد عبرها وكم مرة رويت لها أحزاني ..وكم مرة تلقت ضربات من يدي حتى كادت تشرخ ... لكن الذي حدث في أحد المرات أني جرحت يدي حقا وآلمتها ولففتها برباط ..وبعد أيام سألت عن سر الرباط، الذي ألفها به حين لفتت انتباهك له والدتي ....وأجبتك لاشيء ..لقد اصطدمت بالجدار ولم أنتبه !!! انتظرت لاستمع سلامتك وكعادتك

سخرت من ألمي ..وعلقت : إنني أنا ...أقوى من الجدار!!!!معك حق أنا أقوى من حجر الصوان لو شئت ...وأنت تعلم ذلك !!لكن في داخلي لبوه جرحت ولازالت تنزف ..وأنت لا تعلم ذلك !!!!

فأيهما الأهم برأيك ....أن تعلم أو لا تعلم؟؟؟ أعتقد أن هذا هو السؤال الذي يسأل !!!

كل يوم كنت أهوي ..وأهوي في حفرة صنعتها لنفسي .. ولم أصل فيها إلى قرار ...أخذت اندهش..أهي عميقة للحد الذي يفقدها القرار والنهاية ...

وتهيأ لي أني أقف على فوهتها، واقترب منها واضع فمي على أعلى فتحتها وأصرخ ...أصرخ ...أين القرار ...أين النهاية...!

انتابك الرعب ...لحظة رأيت لأول مرة دموعي تنهمر دون توقف وسمعت صراخي ...بدوت امرأة منهارة ...وتستغرب أنت وتسأل لماذا .... وأهوي ...إلى نهايتها ...أحسست بها وأنا اصطدم بالأرض ... سقطت .. وصلت ... وربما ومنذ زمن بعيد لم اشعر بمثل هذا الارتياح ... وصلت إلى القرار...

لن أطلب السماح والمغفرة منك لأنني أخذت معي أولادي وأنت الذي تعتقد خطأ أنهم ملكيتك ....فقط لأنهم يحملون اسمك وصفاتك الوراثية..!!

ولأنني متأكدة أن الأبوة لم تكن يوما اسما وموروثات ...الأبوة مسؤولية وشعور الأطفال أن لهم أبا حقيقيا يتكئون عليه ، لهذا لا اشعر بتأنيب الضمير...

ستدعي أنهم مازالوا أطفالا لا يدركون ...معك حق وهذا سبب آخر يضاف ...أنا وهم انسحبنا في الزمن الصح ...بعد قليل سيهرول العمر بنا ..وسيمر بك كالصاعقة قبل أن تنهض من غفوتك....لتجدهم يفهمون ويحللون ما يجري مثلي ...وربما يقارنون بينك وبين كثير من الآباء ...فيتوجهون باللوم علي !!! وأنني لم أحسن اختيار أب لهم ...لا يعرف إلا قليلا من لهو كثيراً من أحلام وتصورات غرائبية ستحدث في الفراغ ... وعندما يطلبون تلبية احتياجاتهم ...فتضرب يدك على خواء جيبك ...!!!!

لا أريدهم أن يصلوا هذا الحد ...قررت الانسحاب بهدوء من حياتك ...لتبقى لك الحياة وادعه،مستسلمة ..تعيش رغدها مع أحلامك الوردية ..!!

ودع عنك وجع القلوب ..وتشقق اليدين ..والتضحيات وحمل المسؤوليات صغيرها وكبيرها ...هناك من سيقوم بها عنك هذه المرة ولكن ،ليس وأنت موجود..!!

الآن ، ستدخل البيت بعد انزلاقنا منه- ليفاجئك الصمت والهدوء ...يلفك من كل ناحية وصوب ...قد لا تعطلك الأشواق للبحث

عنا ...لأنك لا تهوى تعب القلب ..وتنتظر عودتنا ...بكثير من صبر اعتدناه منك!وربما يدفعك بقية من فضول لرفع سماعة الهاتف والسؤال عن أمي ..والتي ستفاجأ هي الأخرى بالموقف وسوف تقوم باستدراك الموقف وإنني ربما ذهبت إلي إحدى شقيقاتي ...ثم بعد ساعات يعلم الجميع ،حتى الصديقات بما جرى ...وسؤال وحيد يطارد فضولهم ...أين ذهبوا ؟؟ أين ذهبت ؟؟

بعدها ..لا يعود السؤال يعنيك بهذا المنطق أين ذهبنا بل لماذا فعلنا؟

ولأن والدتي لن تفهم ذلك ستواجهك بماذا فعلت لها ؟ لماذا ترحل وأنت الحبيب والعالم كله ..وأنت الذي من أجله أقامت الدنيا ولم تقعدها لتتزوجك؟؟؟؟ وكثير من كيف ولماذا ...

شقيقاتي سيلفهما الحزن والغموض وهن عاتبات ويقلن: ولِمَ لم تخبرينا ؟ ولم تشتكِ كنا وقفنا معها ...وكنا ...وكنا ...أعلم!!!

الصديقات ربما سينقسمن، بعضهن شامتات قائلات كانت تداري فشلها بكثير من عزة وكبرياء..وبعضهن ستشفق على ما انتهى له شريط سينمائي طويل يحكي قصة حب مزيفة..!!

الآن السؤال لك :هل ستجلس على كرسي الاعتراف وتقسم أن تقول الحق كل الحق وتشهد أمام الجميع أنه لم ينقصني شيئاً على إطلاق ...وإنك مخلص وإنك،،،، وووو

حتى الآن لم أمزق ما كتبت لم يطاوعني قلبي ...لكنني في النهاية سأفعل ....!!لكنني ومثل ما تعرفني دائما ...لا أحب ترك الحيرة والقلق يأكلك وكما اعتدت أن تفعل معي حين تغيب في مشوار طويل أو سفر...وينهبني الخوف ويأسرني الحنين لسماع صوتك وأنك بخير وكفى ..!! وتذوب أعصابي ولا يرن جرس الهاتف من طرفك ...وأبقى على إرهاقي أياماً حتى أسمع صوت المفتاح في الباب، لن تهون على ولن أفعل فقط حين تقودني حاستي اللعينة المتعبة، والتي ليس لديك عنها أية فكرة كم هي صادقة حينما تحثني قائلة لي بأنك أصبحت وحيدا قلقا ....سوف تسمع جرس الهاتف عندك....وبدون أن تعلم من أي مكان في العالم أتكلم:

- تركنا لك الجنة لِمَ لا تستمتع بها ؟ وستجيبني ببروود :

- أين أنتم الآن؟

- لا يهم.

- لماذا كم ستمكثون؟

- طويلا .. وإلى الأبد ..لا تسأل لا تتعب نفسك بالسؤال ..ارتح من كل قلق يا حبيبي أنت محتاج للراحة دائما ...لا تملها ...ولا تملك..

- أين أنتم (ستكون بلهجة أكثر حزما وحدة)

- سوف ..ننتحر!!!أيعجبك هذا الحل ..ماذا يهمك من أمرنا؟؟

- مجنونة ...أنا اليوم رأيتك غير طبيعية كان علي أن لا أدعك مع الأولاد تعالي لنتفاهم..

- تفاهمنا ..خمس عشرة مرة بعد المائة ..هل نسيت ؟؟

- أعدك ..تعالي ... أحتاجك!!

- تحتاجني ...أنت الذي يحتاج وأنا ...ألست محتاجة إلى أحد؟ إلى رجل ..حقيقي يحميني ..أشعر معه بالأمان فقط...وأنا ألست أحتاج الحب؟ كما أعطيه لك أم أذهب لاستجدائه عند أول راغب ؟..لم تفكر بالأمر... وأنا ألا أحتاج زوجاً يسمعني ..يسمع صوتي الداخلي؟ ...بعد اختفاء لغة الحوار من حياتنا بعد أن خيمت عليها لغة الإشارات ...ألست محتاجة لأن تكون بمستوى جنوني لأحبك أكثر وأعشقك أكثر...؟

وأنا ألست محتاجة لأن أصرخ ... وأصرخ وأعبر عما يؤلمني ... وبعدها أشعر أنك تضمني إلى قلبك تحتويني بحنان يشبه حناني إليك ..

- أنا أحبك يا مجنونة.

- فقط؟

وأنت الدنيا والحياة والآخرة ..وأنت الجنة..

وأنت الآن ..تقف على بابها محروماً منها لأن المفتاح كان

معك قبل ساعات ولمدة خمسة عشر عاما ..والآن سقط في نفس الهاوية التي سقطت فيها ووصلت إلى قرارها ....فعلام البكاء...؟!

من بعيد سمعت أصواتهم وكأنهم يتكلمون في كهف عميق:

- دكتور لا أعرف

. كانت تصرخ وسقطت أرضا .

- ستأخذ هذه الحقنة وبعد أن تستيقظ .... ستكون على ما يرام.......

اختفت الأصوات وعم المكان هدوء رائع ...رائع وودت لو بقيت مستغرقة فيه طويلا....

مقابلة !

كنت على وشك عبور الشارع، حينما ركضت نحوي الفتاة المذيعة،تحمل في يدها مكبر الصوت وخلفها غير بعيد عنها، شابٌ يحمل على كتفه عدسة تصوير كبيرة الحجم،وشاب آخر بيده عصا في نهايتها يشتعل ضوء ساطع، مضى الأمر على نحو مفاجئ بالنسبة لي على الأقل، حيث إنها ألقت سؤالها المباغت في وجهي، وفي زحمة شوارع المدينة المكتظة جموع بشرية، ربما تحمل في ذاكرتها إجابات أفضل مني على هذا السؤال:

- سيدتي من فضلك ما هو الشيء المشترك الذي جمعك بشريك حياتك؟

بدت قلقة، تنتظر جواباً سريعاً، تريده كما الوميض الذي شع في وجهي، تأمل بجمع أكبر عدد من الإجابات، حيث تعدّ منها حلقة لبرنامجها المرئي، وأنا أحتاج أيتها المذيعة الحسناء لزمن غير يسير لأجمع شتات ذاكرتي المبعثرة، حيث لدي مخزون متنوع من التجارب، فيها ما بقي واقفاً مستمراً مثل كل تلك الأشياء المحيطة بنا؛ أشجار مستندة إلى جذورها العميقة واقفة دون ملل ترفع رأسها

بشموخ، مهما مر عليها من خطوب..غير حاسدة تلك السيارات المارة بها تمشط طرقات المدن، وتغير نعل عجلاتها المهترئة، كلما بادت أو أصابتها الشروخ..فيما تبقى الأبنية العالية متراصة إلى جانب بعضها البعض دون أن تستطيع واحدة منها أن تحتج على وجودها بجانب بناء آخر لا يعجبها لون طلائه مثلاً... تلك الأبنية الشاهقة ذات النوافذ الضيقة والعريضة، تخفي خلف ستائرها كثيراً من هموم ومشاغل أصحابها. هكذا هي تجاربي المخزونة، فأي منها أختار لك؟ مرّ كل ذلك بخاطري؛ دون أن تتجاوز ذاكرتي عتباتها، والمذيعة قلقة تريد أن تنهي مهمتها! ولاحظت شرودي فأخذت تشرح بتفصيل وتعطيني خيارات:

- ربما جمعتكما الأحلام، الطموح، العواطف المتأججة،، أم المشاريع المشتركة..الهوايات ؟!

- أجل هي الأوهام..عفواً أقصد الأحلام.

مضت سعيدة، بعد أن طرحت سؤالها المذيعة، ذهبت غير عابئة بما نكئت من جراح! تلملم مزيداً من الإجابات السريعة، وتوقفت أشحذ بقايا ذاكرة، ألمُّ مفرادتها المبعثرة من هنا وهناك، أطرق فيها أبواباً باتت مهجورة، ثمة باب للحلم مذهب قديم، تمسكت بمقبضه وراحت، طرقته فإذا به مجرد حديد صدئ وله صرير مزعج كلما تحرشت به رياح الأيام.

لو كان لديها متسع من الوقت، كنت اختصرت عليها الجري وراء مزيد من التحقيقات والأسئلة والإجابات، والتي ربما كانت غير ذات فائدة، لقد ضاق صدرها حينما تلكأت أمام سؤال ظنته شديد البساطة، ولو علمت ما أخفي داخلي؛ ما سألتني على قارعة الطريق ورحلت، بل كان عليها اقتراح مكان آخر، مقهى أو حديقة نجلس إليها، وأحكي لها وتسمع، ثم تكتب أو تصور، وربما بكت! فتقرر أن السؤال موجع وتغير عنوا ن الحلقة.

لقد ظننت أن السؤال يتبعه قليل من الكلام وتمضي، وتستمر الحياة مثل ما كانت قبل أن تطرح سؤالها.

هاأنذا تجاوزت ثلاثة شوارع رئيسة في هذه المدينة المزدحمة، وعبرت أكثر من جادة طويلة ومازلت أقف عند حدود المفازة الفاصلة بين الحلم والواقع، فكيف تريد مني اجتياز تلك المسافة البعيدة من الزمن؛ وما تحمله من خيبات وسقطات وأحلام انكسرت، ولم اجتز بعد بوابة المفازة.

(عندما تعرفت إلى زوجي، كنا ما نزال طالبين في السنة الأخيرة، شدتني إليه تلك الطموحات الكبيرة وطريقته الرائعة في نسج الأحلام، ورأيته الفارس الذي تمنيته، حققنا أول حلم، تزوجنا وأنجبنا الصبيان والبنات، ثم توقف تحقيق الأحلام لأجل غير مسمى، وكنت أقول إن الحلم هو هبة الطموحات المرسومة من سن المراهقة الأولى، ثم وجدته يوسع دائرتها؛ حتى تتشعب ولا يغود يعرف من

أيـن وكـيـف يـبدأ، وأنـا وقعـت في وهمهـا ،) ويـزعق بـوق سـيارة بمحـاذاتـي وأنـا أحـاول تجـاوز الطريق، تـنزلق قدمـي مـن علـى حافـة الرصيف وأتـراجع إلى الـوراء قليلاً، وأحـاول الـتوازن؛ قـبل الوقـوع في حفـرة منسية علـى الـناصية، أقفـز من فوقهـا بخفة، تتطوح أنشوطة الحقيـبة عالـيـاً في الهـواء وتسـقط علـى بعـد أمـتـار، يسـرع شـاب، يلـتقطها، يناولـنـي الحقيبة التـي انقطعت حبالها، ويندفع الدم إلى وجـنتي، خجـلاً مـن الموقـف، هـذه الحقيـبة كـان علـيّ أن أرمـيهـا في أقـرب سـلة قمامـة، "تـقزمـت أحلامـي لـلحظة وبـت أشـتهي تـبديل حقيبـتـي كـل سـنة عـلى الأقـل مـرة، وحمـدت الله أن حذائـي لم ينقطع هو الآخـر؛ حيـنمـا قـفـزت، وكـادت قـدمي أن تلوى، وإلا لكـان لـزاما علـي شـراء حـذاء جديـد، وعـنـدهـا لـن أسـتطيع دفـع القسـط الأخـير مـن ثمـن الغسـالة وشـراء معطـف لصـغيرتي. هكـذا تصـبح الحـياة شـاقة مملـة مـن أجـل انكسـارات صغيرة غـير مـبالين بمـا حققنـاه سالفاً من نجاح وانتصارات."

اقتربـت مـن بـاب المحل الذي بـاعني، بنصـف مـا أملك، أدوات كهربائية بالتقسيط المريح؛ وبذات اللحظة توقفت بمحـاذاة الرصيف سـيارة حديـثة وفخمـة، وسـرعان مـا انفـتح بابهـا علـى رجـل طويـل القامـة يضع نظـارة ذات لـون داكـن، تأملته لثانية ثم تـابعت طريقي وأنـا أهـم بدخـول المحـل واعـتقدت أنـنـي ربمـا قابلـته في مكـان مـا! ولكننـي لم أتم خطوتين حتى سمعت صوتا يهمس بـاسمي، استدرت إلى الوراء، كـان هو؛ رفع النظارة عن عينيه، عرفته؛ هتفت:

- نبيل، غير معقول، لقد اعتقدت أنك انسحبت في السنة النهائية وسافرت، وربما لم تعد؟

- ربما، ولكن استطعت تحقيق ما أصبو إليه بسرعة، الحمد لله حققت حلمي، أسست مصنعاً وأدير شركة استثمارية، هذه بطاقتي عليها رقم هاتفي. وأنت كيف هي أيامك مع زوجك؟

- جيدة، وأنت هل تزوجت؟

- نعم، هناك، تعرفت على فتاة من بلدنا ولكنها مقيمة مع ذويها، سنلتقي؟ هاتفيني! ...

انطلق صوب مبنى المصرف مسرعاً، لا وقت لديه لي الآن، لو قبلت الزواج به ربما كنت أسعد حالاً، ولكنها السعادة دائما نطاردها مثلما نطارد فراشة، فإذ هي تفرّ منا وحالما نأخذ أماكننا تأتينا متحرشة بهدوئنا.

(قبل الزواج، أحببنا أحلامنا، وتفرغنا للحديث عنها طويلاً، ثم بعد سنين وأن أستعيدها بدت لي أثواباً من الأوهام، تناوبنا على ارتدائها كلما مرت الحياة بنا في منعطف وعر، ولكن هو الإنسان حيث الحلم ضرورة تتغذى بها أخيلتنا، ويحدث أن تخدعنا الأحلام فتصبح الذاكرة تئن تحت وطأة الحلم بالماضي الجميل قبل الخديعة!)

- سيدتي، من فضلك ما هو الشيء المشترك الذي جمعك وشريك حياتك؟

سؤالها أيقظ الرغبة عندي للتوقف والنظر من جديد إلى تلك الأيام، والحقيقة كان لدي ما أقوله حقاً:

- جمعنا سقف واحد وثلاثة أطفال وعشرات الهموم، بدءا من تسديد الأقساط وانتهاء بإيجاد حلم بديل ينقذنا من آخر ورطة وقعت لنا بعد حلمه الأخير في مشروع مربح.

دفعت الباب الزجاجي، سددت القسط المتبقي، وخرجت إلى فضاء واسع أسير في دروب جديدة لم أسلكها وأنا قادمة،عسى أن تلهمني حلماً أشعله في وجه اليأس والزمن المرّ، كنت أحس أن أحلامي تنعقد أزهارها ثمارًا تحت حرارة الشمس الدافئة ..

وكنت على وشك عبور الشارع حينما أسرعت نحوي وبيدها حامل الصوت ....تلفتت بوجهي إلى الناحية الأخرى وأنا أقول: لا بأس سأعمل ساعات إضافية وربما وجدت عملاً بأجر أفضل، وحيث لا يمكن لذاكرتي أن تبقى مطفأة، دون وقودها من الأحلام...

2001

الرهان

كانت سيارته تعبر الطريق الرئيس؛ متجاوزة سيارة شحن كبيرة، وكان يقودها بسرعة لينعطف إلى شارع متفرع يقصده، فأدهشه ازدحام السيارات المصطفة على جانبي الطريق، بالرغم من معرفته المسبقة، أن هذا الشارع يضم أبنية تخص مجمع العيادات وأبنية تخص دوائر رسمية بالإضافة إلى مبنى الصحافة الضخم.

ومسح المكان بنظرة سريعة وشاملة؛ وحدث نفسه:" أراهن أن باستطاعتي حشر سيارتي في ذلك المكان والذي يبدو شديد الضيق، بين السيارتين ؛ بمحاذاة مبنى الصحافة."

وسرعان ما فعل، ودون تردد ... يميناً إلى الأمام قليلاً نحو الوراء أخيراً، كان قد أصبح مندساً بين سيارتين، فكر للحظة.. بأن هذه السيارة المتوقفة أمامه؛ لن يخرج صاحبها قبل ساعتين على الأقل،وهو موعده بعد دقائق في عيادة الأسنان، ثم راهن على أنها تخص رئيس تحرير إحدى الصحف، وبالطبع فصاحبها لن يغادر المبنى قبل انتصاف الليل، بعد أن يطمئن على مواد العدد، ويكون قد تشاجر مع الرسام والمخرج والعاملين في التحرير.

استطلع في المرآة، السيارة المتوقفة خلفه تماماً، وقد كادت تلتصق مقدمتها بمؤخرة سيارته، ابتسم لخاطر مر سريعاً، ربما كانت صاحبتها امرأة جميلة، وربما كانت طبيبة أو أنها موظفة ذات منصب مرموق ... عاد وغير تخمينه؛ وراهن على حدسه الصائب على الدوام،" ولابد أنها تخص أحد الأطباء الذين يعملون في مجمع العيادات. وأنه اختصاصي في طب التوليد والجراحة النسائية ... وربما خلال الدقائق التالية، سيأتيه طلب هاتفي مستعجل من المشفى، ويبلغونه أن بانتظاره حالة ولادة متعسرة؛ وعليه الالتحاق وإجراء الإسعاف الواجب، وسيخلع معطفه الأبيض ويخرج مندفعاً من عيادته، دون أن يعتذر، متجاهلاً النساء المنتظرات في الصالة، واللواتي انشغلن بالثرثرة، وحيث أنهن لن يمللن منها كما هي قضية الحمل والإنجاب محببة وعادية مثل خلع الضرس لديهن، أراهن على تقديرهن الموقف،حيث لن يبدين انزعاجاً، لأن النساء يقدرن مثل هذه الحالات النسائية والإنسانية، وهي فرصة لسرد قصص تأخذ ذات المنحى، ماعدا واحدة جاءت للعلاج من مرض بعد بلوغها سن اليأس، سوف تتبرم وتخرج غاضبة وتسترد من المرضة النقود التي دفعتها.

لهذا السبب الإنساني عليه انتظار خروج الطبيب، بحيث لو أن الطبيب خرج متوتراً فلن يستطيع إخراج سيارته، دون أن يصيبها خدش وسوف يكون منفعلا وغاضباً.

حانت منه التفاتة إلى جهة اليسار، حيث ينتصب قبالته بعد

فسحة الرصيف الواسع، درج عريض لمدخل مبنى الصحافة، هناك على أعلى الدرجات كانت امرأة فاتنة؛ تمشي بخطوات متئدة تنزلها بحذر شديد،كما لو أنها تخشى الانزلاق، فأكبر فيها التأني الذي زادها فتنة وألقاً، كانت ترتدي بدلة زرقاء لازوردية، الحقيقة هذا لون الجاكيت فقط؛ أما تنورتها الواسعة والتي غطت نصف ربلة الساق، فهي ذات رسومات وزركشات صنعت بألوان متناسقة، لهذا راهن أن أناقة السيدة تدل على أنها من برج الميزان، ولكن حالما وقفت وأسندت جذعها على العمود الرخامي النابت عند آخر الدرج، بدت ذات وجه صبوح وعينين واسعتين رائعتين، ثم هذا الشعر الكثيف والغرة المرتفعة بشموخ إلى أعلى، تدل دون شك أنها من برج العذراء وطالعها من برج الأسد، إذ إن نساء هذا البرج يتميزن بحسن الوجه، ثم إنها صحفية أو كاتبة، وهذا سبب جديد يضاف؛ لأن أصحاب برج العذراء أغلبهم يختارون مهناً تمت للكتابة بصلة؛ لهم جَلَدٌ وصبر عجيب على التأليف والنشر والاهتمام بالتفاصيل الصغيرة.

أمعن النظر إليها، كانت تنظر نحو السماء، وهي تبدو في حالة تأمل رائعة، وكان على شفتيها يرتسم طيف ابتسامة خجول، وأعتقد بما لا يدع مجالاً للشك أنها تذكرت آخر كلمة قالها رئيس التحرير قبل أن تغادر مكتبه:

"- عيناك لهما بريق ساحر.."

وشعرت بالسعادة لإطراء جمالها، ثم طلب منها الانطلاق في

مهمة عاجلة، برفقة زميليها الصحفي والمصور، وربما ادعى زميلها الصحفي وهو يحاول التهرب من المهمة -لأن لديه موعداً مع حبيبته- بأن السيارة معطلة، عندها أمره باستلاف سيارته الخاصة؛ وبالطبع إنها السيارة الواقفة أمامه، وبعد لحظات يأتي الصحفي ويحاول الخروج من المأزق الحرج، مدعياً مهارته في قيادة السيارات، لكنه جالس بالمرصاد ليلقنه درساً في كيفية الخروج بسيارة من مكان ضيق، وبحضور الفتاة أو السيدة...وسوف يراهن أنها فتاة ومخطوبة لرجل يكبرها بخمسة عشر عاماً، لكنه ثري" وبدا أنها أخذت تفقد صبرها بسرعة، وهي تنظر إلى ساعتها متململة وارتسمت على ملامحها إمارات الضيق، فأخذت تقطع المسافة بين الرصيف والدرج مرات عديدة، حيث وصلته رائحة عطرها الجريء، والباعث على الإغواء، من هنا كان عليه أن يغير رهانه السابق، بحيث بدا له وبيقين كامل أنها امرأة من برج الحمل".

وهمس بنجوى: " بالتأكيد نساء برج الحمل يفضلن أي شيء صعب عدا الانتظار إذ يقتلهن، وهن لا يملكن الصبر، بالرغم من حنثهن بالوعود الغرامية، ولكن تبقى المرأة من برج الحمل رائعة، وتملك الكثير من الجرأة والشجاعة.(تذكر آخر فتاة تعرف إليها وعشقها كانت تنتمي إلى هذا البرج الناري الذي يحكمه كوكب الحرب المريخ)، لهذا فضلت الهروب من هذا العشق المجنون المدمر..الحقيقة لا، مازلت أهواها ولكنني خفت من

اندفاعها المحموم وتطلعاتها الواسعة وحبها للمغامرة، لاشيء يرهبها، فضلت أن تبقى صديقتي فقط، لكن الواقع الذي اكتشفته فيما بعد خلف المرارة في قلبي فحين قابلتها صدفة، وكنت أراهن على شجاعتها في تحمل فشل قصة حب، فإذا بها مهزومة، كانت في غاية الرقة والهشاشة، وصارحتني؛ بأن هروبي؛ لم يكن منطقياً، أنها صريحة وصادقة لا تخفي مشاعرها، هذه الفتاة "الحملية" تخبئ داخلها طفلة عابثة، لكنها الحياة كما أعتقد، وعلى الإنسان أن يتقبل الفشل في علاقاته مع الآخرين، خصوصاً إذا لم يملك حدساً صائباً في اختياراته."

في جلسته خلف المقود، لم يشعر بالملل، لأن مبرر وجوده اعتبره عملاً رائعاً، فهو رجل شهم يَهُبُّ لمساعدة الآخرين، وبعد حين لو خرج الطبيب لوجده في انتظاره، ولو جاء الصحفي لوجده متأهباً لإخراجه من الورطة، فهو زميل الفتاة التي هي من برج الحمل وزميلها من برج الجدي، بالتأكيد لأنه يتباطأ كثيراً في عمله حتى لو كانت بانتظاره ومرافقته فتاة حسناء. حيث أصحاب هذا البرج واثقون من نجاح عملهم، لأنهم يؤدونه بتؤدة. وفجأة لمح رجلاً مسناً، يتحدث بودّ شديد إلى الفتاة، وكاد أن يتورط بالرهان على أنه خطيبها لولا أن استدرك على الفور بعد أن تبين ملامحه جيداً، وعرف أنه الأديب المشهور، والذي قرأ معظم رواياته، وهو يتحدث مع الفتاة الكاتبة المغمورة، والتي لن تبق كذلك بعد الذهاب في مهمتها الحالية، وربما تكون

تحقيقا صحفياً في جريمة غامضة، أو قضية رشوة وفساد في أحد الدوائر الرسمية..ستكتب عن الموضوع بجرأة مدهشة، فهي امرأة من برج الحمل" وتصبح مشهورة وسوف يستدل عليها من صورتها المنشورة إلى جانب اسمها، ولكن لن يرتبط بفتاة أخرى من نفس البرج.

رآها تنهي الحديث على عجل وتودع الكاتب، وانطلقت تجري بخطوات واسعة هذه المرة، عبرته بنظرة سريعة وهي تحاول المرور من الفسحة الضيقة بين السيارتين وكانت على وشك القفز من فوق سيارته. بعد أن صارت في منتصف الشارع نظر إليها متابعاً خطواتها فرأى سيارة يقودها شاب وسيم لم يتجاوز الثلاثين من عمره؛ ومعه طفل، سمعه يصرخ قائلاً:

- ماما ، هل نشرت صورتي في المجلة؟

أجل، ربما خاب ظنه؛ ولكنه يراهن أنها تعمل بالصحافة، ووعدت ابنها بنشر تهنئة له بمناسبة عيد ميلاده. وجد نفسه يغرق في تأملات جديدة ومراهنات مثيرة، حتى اللحظة التي شعر بيد تمتد برفق من نافذة سيارته؛ توقظه من حالته تلك، ولم يكن سوى طبيب الأسنان وصديقه يخاطبه ضاحكاً:

- أوه، يا صاحبي..متى ستكف عن التأخر في مواعيدك؟ هذه ثالث مرة أراك هنا بعد انتهاء دوام العيادة، وقد أقفلت الطريق على سيارتي .."ولم يمهله" استطرد منبها لأمر هام :

- اسمع، لو تأخرت في الموعد اللاحق، ستفقد الحشوة المؤقتة التي وضعتها في ضرسك وستحتاج من جديد إلى تلك الإبرة المؤلمة..إلى اللقاء. وذهب الطبيب يستعد لفتح باب السيارة، بينما أدار هو محرك سيارته، وخرج بمثل المهارة التي دخل بها وهو يراهن على الخروج قبل الطبيب، ليفسح المجال واسعاً أمامه، وفكر في أن لا ذنب له إذا كان رجلاً من برج الدلو ويحلو له تقديم العون للجميع حتى لو لم يلق التقدير.

حريــة

عشر سنوات وهو يطاردها ..يلاحق خطواتها ويتمنى لو اقترب ليعد أنفاسها... غمزها مرة، أرسل إليها شعرا مرة ثانية ..مرت السنوات ضاقت المسافة بينهما، والمرأة التي تشبه مهرة أصيلة مازالت عصية عليه ..تعدو كفرس جموح ...

بعد حين وصل بمحاذاتها ..ابتسمت له ..تشجع وقال : أحبك؟

أجابت: أحب حريتي ..

رد عليها :

- وأنا أيضا أحبك مهرة بلا لجام تسابقين الغيم تنطلقين إلى أبعد مدى ..

استراحت واطمأنت قالت : أحبك أيها الفارس النبيل..

علت وجهه ابتسامة نصر...من ثمَّ امتطى فرسه وانطلق بها مسابقاً الغيوم ..

بينما المرأة واقفة تنتحب الحرية التي فقدت؟!

ربح المكافأة ..!

زعق بوق السيارة خلفي .. فانتزعت جسدي من على قارعة الطريق، وحاولت الجري إلى محاذاة الرصيف، لكن السيارة هدأت من سرعتها ووقفت إلى جانبي ومحركها دائر، وسمعت صوتا مألوفا يخاطب مسمعي:

- سيدتي ، صباح الخير ..لك رسالة من الشركة ..؟

- هذا أنت عم محمد .. !!؟

- تفضلي ، هذا المظروف .. وقعي لي بالاستلام لو سمحت .. أنا مستعجل ولا وقت للقراءة من فضلك ...

- حاضر .. حاضر ..أين؟ ... هنا ..لا بأس كيف حالك وكيف أسرتك الكبيرة. وانطلقت أسأله عن أحواله بسرعة وحميمية لم تكن بيننا من قبل .... وأهدي تحياتي لكل من يعمل، ومن بقي في الشركة لحد الآن ......

كل شيء تم بسرعة، ودون تفكير، حتى أنه انطلق، ودارت عجلة السيارة بلمح البصر، وأنا مازلت أتحدث إليه.. وكلماتي تتناثر

في الفضاء ... وتغيب في ضجيج الشارع وزحام المارة .. ولمت نفسي لأنني تكلمت معه، بعاطفة وليدة الساعة ..ومن قبل كنت أتعامل معه على أنه مجرد سائق يعمل معنا ..؟

لكنني لم أنس أن أحمد الله.. لأنه وجدني في الشارع المؤدي إلى الشركة، وإلا.. كان عليه أن يذهب إلى البيت ولا يجدني وربما تأخر في توصيل ما كلف به .. الفضل يعود إلى مشاويري الصباحية ... كل يوم ذهابا وعودة على طريق الشركة التي كنت أعمل فيها..ولا أدري لماذا اخترت هذه الطريق بالذات، ربما لحنين تأصل بي حيث اعتدت عليه لسنتين خلت ..؟ وأنا الآن أقنع نفسي أن المشي كل صباح .. لنصف ساعة من الوقت مفيد للنفس والجسد.. ..

وتحسست المظروف في يدي ... وترددت في الاطلاع عليه .. هكذا في الطريق العام ..لا..غير لائق ... وأخذت أخمن محتواه ... وتبادر لي أنه يحتوي على صك ..صك ..نعم ، وربما رسالة شكر...؟

آه ،بالطبع لابد أن يكون صكا" ...قيمة مكافأة مالية طال انتظاري لها ...ولم تأت ..!

منذ أن التحقت بالعمل لدى هذه الشركة الخاصة ..وحتى انتهى العمل بها ،والحقيقة أنا الآن لا أعتبر نفسي منفكة عن العمل، مع صاحب الشركة وربما لست عاملة ..لا أعرف وضعي تماما ..وهذه إحدى مشكلات العمل في القطاع الخاص حيث المزاجية والظروف

الخاصة، وعلي تحمل الوضع لأنني ضحيت بعملي السابق في شركة كبيرة وضخمة... تضمن حقوقي مقابل العمل هنا.. مع رجل أعمال يمتلك الكثير من الشركات لكنه يدفع رواتب مغرية جدا ...وخصوصا أنه قدم لي عرضا جيدا ووعودا بزيادة المرتب ومكافآت ...لهذا لم أندم على التخلي عن عملي السابق ...

عدت أتحسس المظروف ...لماذا أمسكه بيدي ..؟؟؟ توقفت للحظة ..وفتحت الحقيبة ودسسته،شعرت بالاطمئنان ...فتابعت سيري وأنا أتذكر لقائي قبل أسبوع واحد، بالمستشار القانوني للشركة، حيث ذهبت لطلب لقاء المدير، بعد أن طالت المدة وأنا أنتظر في البيت دون مرتب ..ثم إنني لم أبحث عن عمل آخر..!! فالمدير وعدني بشكل جدي ..حينما استدعاني ذات صباح ليقول :

- أعتذر منك ...الظروف ستضطرني لأقفال المكتب ..لكن تأكدي أن حقوقك ستصلك ..ثم لا تبحثي عن عمل ..لأن عملك مضمون لدي وبعد أقل من شهر...أقصد في شركة جديدة أقوم بتأسيسها .. أعطني فرصة وسيكون كل شيء على ما يرام ..

- شكرا لك ..!

- لكن عليك بالاتصال بنا بين الحين والآخر...

وترددت مرة اثنتين ،وفي المرة الثالثة قابلني المستشار برأي غريب لم أفهمه تماما إلا الآن ..قال لي:

- لو سمحت اكتبي لي طلباتك هنا على هذه الورقة ..!

- ليس لدي طلب معين ماذا تقصد ..؟

- الحقيقة ربما كنت تحتاجين لرواتبك المتوقفة حاليا وأنت كنت موظفة مخلصة والمدير قال لي :ادرس طلبها..!

- هكذا .. ولكن من المفترض انه سيفتتح شركة جديدة عما قريب وتعود الأمور لما سبق ..؟

- لا بأس ،لا بأس من أعطاك حبلا قيده به ..!

"وضحكت من تعبيره لكن ردي كان سريعا وحازما ومفاجئا له:

- أنا لا استخدم الحبل للتقييد فقط ربما للشنق لأنني أكره التقييد..

ولمحت طيف ابتسامة صفراء تعلو شفتيه ..وأمسكت القلم وكتبت على الورقة ما صار لي من استحقاقات عندهم:

رواتب ستة أشهر متوقفة ..وعمل إضافي لمدة سنتين لم يصرف منه شيء وتعويض عن إجازات لم أقم بها وتتجاوز الشهرين، وأيضا كل ما ترونه مناسبا من تعويض عن كل الدراسات والأعمال التي كلفت بها خارج نطاق عملي ...أجل فكل العروض التي يقدمها المدير إلى الشركات والجهات أقوم بتحليلها ثم متابعة العمل حتى نهايته وأشرف على العاملين أيضا ليقوموا بواجبهم وهذا يتطلب جهدا وصبرا واستمرارية في العمل إلى ما بعد أوقات الدوام الرسمي ...!

وأنهيتها بالتحية والشكر والسلام ...وعدت مطمئنة لحسن تقديره ،وكلي أمل في كرمه وعطائه، وأنا التي سمعت منه شكاوى كثيرة عن أصدقائه الطامعين في كرمه، الذي يفوق الوصف..... وعلى الرغم من تبرمه لكنه صارحني أكثر من مرة، أنه يفضل خسارة جزء من ماله على أن يقال عنه إنه بخيل

أنا لم أطمع به في يوم من الأيام، بكل ما ائتمنني عليه.. من نقود، لأن الأمانة واجب أؤديه وليست منّة له ..لكنني أعلم أنه رجل أعمال مقتدر.

الآن، جاء وقت التقدير....لقد تجشم عناء احتساب ما استحقه، وقام بتحرير صك.. وأخمن أنه كان كريما معي ...كما هو مع الجميع ..الله يا للسعادة كم أحتاج هذه النقود في مثل هذا الظرف...! وهو لابد أن يكون معي طيبا ورائعا ..

وإنني لأكاد أسمع طرقات قلبي بأذني من اللهفة ..لمعرفة المبلغ المرصود لي مكافأة على جهودي وإخلاصي ..

إخلاصي ..طبعا، هذا أمر مفروغ منه بالنسبة له ولي، وهو على علم أكيد به، خصوصا بعد أن تركت العمل، وبقيت في البيت ...فكم وكم من محاولات جاءت من أصحاب مكاتب منافسة له وإغراءهم لي بكل الوسائل.....

منهم من عرض العمل لديه براتب يفوق ما كنت أتقاضاه

بثلاث مرات، ومنهم من حاول استدراجي إلى معرفة بعض أسرار عمله ...لكنني لم أرضخ وكان الرد واضحا وجليا ..حتى لو خسرت هذه العروض....إخلاصي وأمانتي لا أساوم عليهما ... ثم لماذا أقبل بالعمل مع غيره ..؟ وهو وعدني بالعودة في أقرب فرصة ....صحيح، أن المدة طالت واستطالت كثيرا ... حتى أصبحت عاجزة عن سداد التزاماتي المالية ..لكن، لا بأس أعرفه.... والحر إذا وعد وفى .!!! هذه عبارته الأثيرة ..؟

وأكيد ، حينما علم بأمر هؤلاء من ضعاف النفوس المنافسين ... قدرني أكثر واحترم موقفي ...ورفع سقف المكافأة ..يا إلهي .. تكاد أصابعي تخترق جلد الحقيبة لتمسك بالظروف حامل المفاجأة .. !!

مفاجأة ... لابد أن تكون مذهلة ...حيث إنه يحب المفاجآت بطبعه ،صحيح أن طبعه متقلب ومزاجي...ولا يستطيع أي مخلوق التخمين بما يفكر ويرسم في عقله من خطط ..مهما كان ذكاؤه ..لهذا رآه البعض داهية وآخرون قالوا بأنه مراوغ ...!!! لكنني وحدي أنا ، استطعت اختراق هذا الحاجز ،ببساطة ، ولطالما أنا من فاجأه باستنتاجات أدهشته وأوقعته بالحيرة والارتباك ..حتى ظن في يوم أنني امتلك قدرة على قراءة الأفكار..!

إنما الأمر بغاية البساطة ..أنا فهمته ،وأدركت أنه يحب التحلي بالغموض ليعطي لنفسه هيبة ومكانة ليست لأحد ... بينما تفكيره بسيط، وسطحي أحيانا، وفي العمل يعتمد على أفكار الموظفين عنده ..

أجل ،كنت قريبة من عقله لأستطيع التغلب على أي مشكلة تعترضني في غيابه وأثناء سفره ولمدة طويلة ... وكان علي أن أستلم زمام القرار والمبادرة عنه ...!!!

وأتحمل النتائج أيضا"، وأيقنت أنه مطمئن إلى طريقتي وأسلوب عملي ..فلم يراجعني في قرار اتخذته أو أمر أصدرته ..هذا الرجل متواضع ..!! لا يعنيه أبدا" أن تكون موظفة عنده تقوم بمحاسبة العاملين لديه ومراجعة العملاء، والتصرف مع الأشخاص المحيطين به ..وقد يحسبها البعض لامبالاة منه وإهمالاً لشؤونه..لكنه كان ذكيا وإلا لما جمع ثروة بهذا الحجم وما كان افتتح فروعا لها في بلدان أخرى ..هذا أسلوبه ودأبه مع كل من يعمل معه في المكاتب الأخرى، يعتمد عليهم ويعطيهم حرية التصرف.. ومرة صارحتني زميلتي بأنه في صفقاته الكبيرة لا يحتاج لأي جهد ..يكفي أن يرفع سماعة الهاتف ويكلفها مثلا بالعمل حتى تنهي كل الإجراءات من تحضير العروض إلى توقيع العقود ثم بعد ذلك عليه أن يراجع حسابه المصرفي وينظر كم زاد دخله في هذه العملية، وضحكت وقالت :مدير سهل مدير بالهاتف ...!! بينما اعتبره المنافسون خبيثا لأنه يحسن استغلال الموظفين ...إنما رأيته رجل أعمال وإدرياً ناجحاً ورائعاً ..!!

لكن الأروع ..وصولي إلى المنزل ....بعد أن قطعت المسافة في العودة برقم قياسي..!! يبدو أنني كنت أهرول ولا أمشي ..من كثرة الانفعال ...حتى لم ألحظ أي شئ في الشارع !! الذي اعتدت المشي فيه

كل صباح، ومراقبة المحلات وأشياء أخرى حفظتها من كثرة التكرار ...اليوم اختلف الأمر..وكأن الطريق أصبح فجأة محاطا" بغشاوة الأفكار المتواترة طوال السير.....

أخرجت المفتاح من الحقيبة بلهفة .. وارتبك داخل القفل لبرهة حسبتها دهرا..ماله لا يدور.. هل صدأ القفل فجأة ..آه إنه مفتاح آخر... وأخيرا...... انفتح الباب واستقبلت أول كرسي .. ينتشل إرهاقي، ويستقبل أحلامي.... التي سأصوغها بناء على قيمة المبلغ !!؟ ... والمغلف .؟؟ هاهو ..أنيق جدا ...ولطالما استخدمته بشكل يومي ولكن للآخرين ..جاء دوري .. !! لكن .. ؟؟

يحتوي على رسالة، والصك ...أين الصك ..؟؟ لا يمكن أن يكون سقط سهوا" ..!! ما هذا ماذا كتب فيها :

السيدة الفاضلة :

بعد التحية ...

يعلمكم السيد صاحب ومدير الشركة بإنهاء خدماتك .. اعتبارا من تاريخ تغيبك عن العمل قبل ستة أشهر بدون أذن كتابي مسبق أو تقديم إجازة عارضة أو مبررة ..! ونظرا وتقديرا لظروفك تقرر منحك مكافأة مالية نظير ما قمت به من جهود في السابق .. على أن يخصم منها:

1 - قيمة مكالمات هاتفية خاصة أجريت من قبلك ولا تخص العمل وقدرت جزافا بمعدل مكالمتين أثناء الدوام ولمدة سنتين من الخدمة وهي بقيمة ربع المكافأة ..

2- خصم استهلاك الحاسب الآلي لاعتمادكم الطباعة عليه بعد انتهاء الدوام الرسمي وربما كان الاستخدام لأشياء لا تخص العمل بقيمة ربع المكافأة الثاني ..!

3- خصم قيمة قرطاسية تم استهلاكها من قبلك وهدرها لكثرة استخدام جهاز الحاسب وبقيمة ربع المكافأة الثالث ..!

4 - خصم استهلاك مواد الضيافة من قهوة وسكر وشاي لك ولضيوفك طيلة مدة الخدمة بقيمة ربع المكافأة الرابع ..!

5 - خصم قيمة فواتير إنارة ومياه استهلكت اعتباطيا وخارج أوقات الدوام أثناء استمرارك في العمل لساعات متأخرة بما يعادل ربع قيمة المكافأة ..لذا يتوجب عليكم تسديد الدين المترتب للشركة خلال مدة أقصاها ثلاثين يوما من تاريخ تبليغك .."

أطبقت الرسالة بهدوء شديد ..وتناولت عود ثقاب وأحرقتها في منفضة السجائر، ووضعت المنفضة على حافة النافذة لينتثر

رمادها مع الريح القادم في فصل الخريف، ولأول مرة ..أتنفس هواء نقيا ..ملأني شعورا مطلقا أنني أمتلك منذ الآن ...حرية الاختيار!

18/11/2000

نصوصٌ ضائعةُ التوقيع

"الحب أن تقف على قدم واحدة، وتشعر أنك متوازن،"هذا ما اعتقدته دائماً. اليوم أقف على أرض صلبة وأشعر بالتأرجح، حتى أكاد أسقط على وجهي! بعد إنكار "سالم" لوجود امرأة غيري في حياته ،تكتب له على مفكراته وأوراقه، بل يؤكد إن ما اكتشفته اليوم في مفكرته القديمة، هي إحدى لحظات جنوني كتبتها في غفلة عنه وتركتها ليكتشفها بعد زمن، وقد قرأها عشرات المرات وحاول معرفة أسباب كتابتها ولم يفلح.

لا يعرف سالم أن الكتابة لمن نحب، لا تستدعي أسبابا واقعية، ربما أكتب من هجر هيأته لي لحظة غربة وابتعاد، أو استشراف لخاطر لاح لي فيه معنى كلمة قالها وعبر، إنكاره أخل بتوازني، شطرني إلى امرأتين، إحداهما عاقلة تستدعي ذاكراتها النائمة، وتستحضر حالة اربكتها لتكتب بلغة تشبهني، وخطوط حبر يتطابق مع حبري. وامرأة مجنونة بالارتياب، من وجود أخرى، تحمل في جيناتها مرض الكتابة سبقتني إليه، أحبته على طريقتي، كتبت لتشهده على ذلك الوهج الذي جمعهما وانطفأ، واكتفت بإثبات تاريخ اليوم والشهر على ورقة في مفكرة تحمل تاريخ ذلك العام.

2

الشوق صباحاً، هزني بقوة فحملني لزيارة "سالم" في مكتبه، كنت أطمع في اقتحام عالمه، عالم الرجولة المفخخ بالأسرار والأعمال التي تشغله عني، لم يعترض على مفاجئتي،(ولطالما قال لي: لا يسرني مطاردة زوجتي إلى مقر عملي)، طلب مني الدخول إلى مكتبه الخاص والانتظار ريثما ينتهي من لقاء رجال الأعمال في صالة الاجتماعات، وبين حين وآخر يطل معتذرا ويبعث لي مع الحاجب فنجان قهوة، أو كأس عصير.

3

أوراق وملفات كثيرة على الطاولة، لم تعن لي شيئاً، في أحد الأدراج عثرت على مفكرات متراصة فوق بعضها البعض لأعوام سابقة، أخذت أنبش زمنه الماضي خلسة، وقد حملت بين طياتها كثيراً من الأوراق المطوية، بعضها أعرفه، كانت رسائلي إليه، لم أعد قراءتها، فمنها منشور في الصحف ومنها بقي لدي نسخة عنها.

كنت على وشك إعادة ورقة سقطت من يدي، حينما لاحت لي صفحة كتبت بخط أنثوي، توقفت عنده، كانت رسالة إلى سالم، قرأتها مرة، وثانية وثالثة،كل مرة كانت تزداد فيها حيرتي وارتباكي.

4

امرأة تعترف له،" كم كنت رجلاً" في زمن تناثرت فيه ملامح الرجولة بالرغم من كثرة الذكور عدداً، في زمن اشتاقت لوجوده بعدما اختفى الشرق وحل مكانه الغرب فكراً وسلوكاً! ثم تدعوه للعودة إليها بكل ما امتلكته من عاطفة الأمومة والأنوثة معاً،كلماتها أيقظت ذاكرتي معه وأنا أمنحه حنان الأم والحبيبة.

ثم تنذره بالشقاء لو رحل بعيداً عنها، وتطرح بجرأة تجربتها وهي تعدد له رجالاً مروا في حياتها عبثاً، فحسدت يقينها. وتعترف بملامح الحب والنشوة ملامح الدنيا والجنة عندما احتواها، امرأة تخاف الضياع بعيداً عنه تحتاج قنديله، هنا فقط ألهبت شكي فيه، كيف يرحل عن امرأة تحمل مقاييسي في الحب.؟

لغتها أربكت مشاعري، وانفصلت عن سالم الحبيب والزوج، أشفقت عليها من هذا الشوق لحضنه، امرأة يقظة لذاتها كأنثى حقيقية، تدرك أنه لن يحيا بعيداً عنها، أشفقت عليها من عبثه وعدم انتباهه، بعدما تحسست لغتها المجروحة تحمل كبرياء يشبهني، وشكرت غفلته عنها، وشكرت انتباهها لتأريخ موعد الحب معها، وابتهجت لحظة لأنها سبقتني إليه، لكن القدر سحبه نحوي بقوة أكبر!

5

ارتشف قهوتي الباردة، وأنا عالقة في شص من المعاني، شص حباله متينة ومساربه لا تكاد تتسع ليقين يمنحني الطمأنينة.

بعد أن صارت هذه المرأة ظلاً لي سيتبعني دوماً، شبحها صار شكي الذي يذبحني نهاراً كلما ابتعد "سالم" عني، ويقيني ليلاً عندما تمحي عتمته ظلها ويدخل سالم جنتي.

هل انتهت اليوم أسئلتها بعد غيابه، وابتدأ زمن سؤالي عنه وحوله؟ ورسالتها ابتدأت بسؤال يتضمن معنى الدهشة، عندما عرفته تقول : (كم كنت رجلاً) ؟ أتراها ما تزال حائرة في أسباب تخليه عنها؟ وهي وسط ذلك الضياع تحتاج قنديله؟ أم أنها تقتات خوفها من رجالٍ عرفتهم فزادوا غربتها اختناقا وشراسة؟

6

كيف أتجاوز أنانيتي ولا أسمح للماضي بالعبور، دون محاسبتي له، وبين لحظة وأخرى يطل علي من الباب مبتسماً بود صافي، ومعتذراً لتأخره في الاجتماع. وفي اللحظة التي أطمئن إلى غيابه، أفتح المفكرة وأكتب حيرتي من امرأة استنسختها تلك اللغة

عني، امرأة أسطورية في الحب والعطاء، أكتب بلغة تتحدى لغتها، لأبرهن أن سالم لن يتوقف عن حبي كما فعل معها! وأترك صفحة فارغة بيني وبينها، أخبرها وأبني على السطور مدينتي التي قامت فوق دمار مدينتها، لغتي تتشفى بهزيمة امرأة تشبهني انتصرت عليها قلت لها :نحن نخوض معاركنا في الحب بأنانية وقسوة، تشبه شهوات طفولتنا ونحن نتبارى على استحواذ الحب بكامله لنا)

كانت سطوري تتناثر فيها غبار معركة حب لغوية، أسفك عواطفها. بحبري، وتستفزني شراسة معاني كلماتها. الحرب لم تستمر، دخل سالم ليحسمها، قطع استغراقي وهو ينظر من فوق كتفي، حماسي إلى حرب كانت مشتعلة فسألته: من هي تلك المرأة التي أحببتها وكتبت في مفكرتك هذه الرسالة؟ في أي زمن كان ذلك الحب أم أنك مازلت تعيشه؟

سحب المفكرة بهدوء، وأشار إلى الخط وسألني: ألست من كتبت ذلك؟ خطك ولغتك قرأته عدة مرات وحاولت معرفة الوقت الذي غافلتني به وكتبته لي وفشلت. لم ألتق في حياتي امرأة تكتب لي غيرك!

احتضنني بحنان، فنبتت عيون خلف رأسي تقرأ الرسالة من جديد؟

7

في الصباح، لحظة اقتحمت مكتبه كنت امرأة واحدة عاشقة،

يحملها الشوق إلى زوجها، بعدما اكتشفت الرسالة انشطرت إلى امرأتين، تشن كل واحدة حربها على الأخرى في زمنيين مختلفين، الآن بعد إنكاره لها بل إلصاق رسالتها بي صرنا ثلاث نساء تائهات، المرأة الثالثة كاتبة تحتار في نصوص ضائعة التوقيع!

حيرة وقعت في فخها مرات كثيرة، كلما ابتعدت عن نص كتبته وعثرت عليه، ويفاجئني السؤال كيف فعلت هذا هل تتقمصني امرأة أخرى لحظة الكتابة؟ هل الكتابة خيانة الحبر للذاكرة، أم هي وفاء المشاعر لحظة الكتابة؟ مهما تكن الحقيقة، يكفي أنني تركت بين الرسالتين صفحة واحدة بيضاء.

2005/5/20

مقايضة !!

سيطرت على مجمل حواسه، امتلكته رعشة لذيذة، واعتقد بداية أن هذا ما يدعونه "حب من النظرة الأولى" لكنه استبعد الأمر، لأنه يدرك تماماً غرضه من هذه المرأة، ثم حتى لو وقع في غرامها، لن يستطيع إقامة علاقة عاطفية مع امرأة غريبة ومن الجليّ له أنها لا تقيم في هذه المدينة وإلا ما كانت نزيلة هذا الفندق! لكن مع ذلك فهذا موضوع فيه كثير من الإغراء ليتبع خطواتها.

الشهوة، تأتي مختفية وملتبسة ذرات الهواء من حوله، تنتثر حول محيط هذا الجسد الذي ينثر هو الآخر رائحة الأنوثة الخالصة.

سيدة فاتنة، لم تتجاوز الثلاثين تسير في الشارع بعد مغادرتها الفندق بخطوات متمهلة رصينة لكنها لا تخلو من إغراء الأنثى العارفة بكوامن الغواية، حيث أخذت تثير فيه صوراً وخيالات لا حصر لها، وهو يتبعها منذ الصباح، رآها تخرج وحيدة، وحسناء لها عينان تشعان بوميض آسر وفم شهي، يغري باللثم. وعلى الرغم من إهمالها لوضع الزينة على وجهها؛ كما

تفعل بقية النساء اللواتي اعتدن ارتياد هذه الفنادق والإقامة بمفردهن، لكنها فاتنة ..

وبعد أن تابعها لمدة أيام ثلاثة، حفظ مواعيد خروجها وعودتها، ولم يعد يعنيه سبب وجودها هنا في مدينته،والتي تجاوز الغرباء فيها عدد سكان المدينة الأصليين ... هذه مدينة العمل، ولكن ليس للمواطنين أمثاله، بل للقادمين من كل أنحاء البلدان الأخرى.

بالنسبة له، صار التسكع ومراقبة الفتيات أمراً مسلياً، إذ لطالما حظي بفتاة قبلت ركوب سيارته والذهاب إلى أي مكان يرغبه، لكن رغبته الشديدة في هذه المرأة التي فتنته بهدوئها وانشغالها عنه، أصبحت أكثر اشتعالاً.. وأصبح لديه حافز أقوى لمطاردتها،وهي تدخل مبنى حكومياً لتخرج بعد ساعة ثم تذهب إلى دائرة رسمية تمكث فيها بعض الوقت وتعود آخر النهار تجر خطوها. وبات هو مرافقا وحارساً أميناً عليها وعلى تلك الرغبة التي تزداد تأججاً كلما أهملته ولم تعره التفاتاً.

واعتقد أنها تبحث عن عمل، إذا امرأة فاتنة وغايتها مصدر رزق هي النقود ولا حل ثانياً مقايضة عادلة اللذة والجسد مقابل الدراهم ،لم يخطط كثيرا كانت حواسه تعمل فقط النظر والشم، وعاد يلاحق خطواتها بصبر،وكلما اقتربت من الشارع المؤدي إلى الفندق تأججت الإثارة (وأخذت صورتها وهي تنضو

عن جسدها الملابس؛ قطعة؛ قطعة تزيد من سرعة خطوه في اتجاه المطاردة. وعادت الصور تغطي جزءاً من وعيه السارد خلفها وصورتها تتمايل بجذعها اللدن ترتمي على صدره ويأخذها بقوة إلى السرير.. سيحدث حتما ما تخيله بعدما تحصل على النقود ويتمتع بما اشتهى منذ أيام ثلاثة.)

في البهو الواسع، لا يثير انتباه أحد، المكان مزدحم بالوافدين والخارجين، لا أحد يسأله غايته، تسلل متجهاً نحو المصعد وراءها، وفكر أنهما وحيدان في مكان ضيق لو كان مهّد للأمر قبل الدخول إلى المصعد فربما نال منها قبلة عاجلة.

انغلق عليهما الباب، وضغطت أصابع يدها الغضة زر الطابق الأخير، اقترب منها وكاد يلتصق بها وهو يبتسم بجرأة وثقة قال لها: أريدك الآن سأدفع لك مئتي بل ثلاثمائة ما رأيك؟ موافقة؟

وفي تلك اللحظة كان عقله مشغولا بعرضه إذ بدا في غاية الكرم، واستعد لاستقبال دعوتها،لكن المرأة انتفضت تصرخ قريباً من أذنه، بعد أن نفرت دموعها، والتي فاجأته ؟!

- حرام عليك ،لقد فقدت زوجي هنا في الغربة، ومنذ ثلاثة أيام وأنا أعمل وحيدة لاستلام جثمانه ونقله، وأسعى إلى قبض التعويض عنه، اتركني وشأني واذهب ..

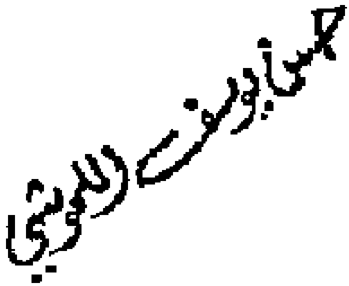
كانت تجهش بصوت مرتفع، حينما انفتح باب المصعد فجأة على أحد الطوابق، انزلق يهرول، وكان آخر شيء لمحه هو باب المصعد ينغلق على وجه بائس بللته الدموع والحرقة.

2001/6/3

الفهرس

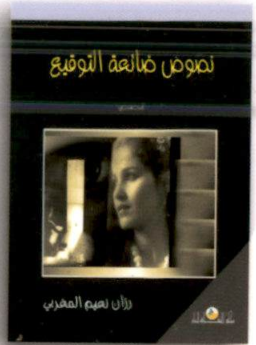
الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة



صدر للكاتبة :

الجياد تلتهم البحر	– قصص قصيرة
في عراء المنفى	– قصص قصيرة
إشارات حمراء	– شعر
الهجرة على مدار الحمل	– رواية



■ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام